الجزء ٤ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٧ م الموافق شوال سنة ١٣٤٥ هـ

شيء عن اناتول فرانس (١)

سير العلم — القديم والحديث — الكلام عن اناتول فرانس — تراجم الكتاب — مذهب اناتول في الشك — التفاؤل — الحزن واسبابه — المسامحة — الحب — الاسلوب المدرسي — الاسلوب الوجداني — طراز اناتول في النقد — لغة لافونتين — ميل اناتول الى لغته — حرصنا على اللغة ·

قال الاستاذ شارل ريشه احد اعضاء معهد باريز في كتابة (العالم) :

« يسير العلم في سبيله سيراً تحار تواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في عنفوان امره وريعان عمره ، فالعالم (ارخميدس) على نبوغ فضله و براعته كان يجهل مايعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، وأجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجهيزية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم (غليله) نفسه ، ما بين العالم (فرانكلان) وبين العالم (انشتين) مائة وخمسون سنة ، فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ! ما أعظم إنقلاب الأفكار ! لم يكن من قبل علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن وما هو قرن ونصف قرن · المشي غير وئيد ، اننا نسير الى معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متزايدة ، وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتبسه من العلوم سلطان عظيم على المادة مهما اختلفت اشكالها » ·

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع القاها في ردهة المجمع يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م ·

هذا ما قاله الاستاذ (ريشه) فلم يتجنب نهج الصواب في وجيز كلامه ، لقد ظهرت علوم في ايامنا لم تظهر من قبل ، فانبسطت آفاق العقول فتبدل بانبساطها طراز التفكير وتغير نمط النقد ، وطفق الكتاب يتغلغلون في حقائق الامور ، فظهرت على كتاباتهم آثار هذا الانقلاب واختلفت اصولهم في التفكير عن الاصول التي كانوا يبنون عليها من الف سنة ، لقد تبدلت الارض غير الارض والسموات ، واستفحل العمران واستفاضت مذاهب الحضارة فأصبح الجمود على القديم متلفة للقرائح ، الا انه ما كل قديم فاسد ولا كل حديث صالح ، واذا جاز لنا ان نستهجن البكاء على الاطلال او وصف مرابض الغنم ومعاطن الابل في عصر طارت فيه الطيارات ودبّت فيه الدبابات ، او اذا جاز لنا ان نستشنع الكلام عن قبة من ادم او مظلة من شعر او خباء من صوف او بجاد من وبر او خيمة من شجر او قنة من حجر في دهر ذهبت فيه القصور في السماء فلا يجوز لنا ان نشذ عن لغة نسجت أفوافها الليالي وطرزت أبرادها الايام فوسعت ما في السموات والارض .

لقد انقلبت العقول والافكار فنشأ النمط الحديث في الادب وليس في هذه الثورة الفكرية شيء يستكره اذا لم يكن معها ثورة تذهب بمحاسن اللغة والأسلوب فان الحياة تستلزم الحركة ولا ريب ، قال ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا المقيم :

« ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ، ولم نأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وندع قول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا أزمان ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام، ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولم لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، او ما علمت ان لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ، ولم حجرت واسعاً وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكاً ، ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب أدب غزير ولضلت افهام ثاقبة ،

ولكّت ألسن لسنة ولما نوشي احد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعوب البلاغة ولجّت الأسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ » .

ابو الحسين هذا حفظه الله من المجدّدين او المتجددين على ما يستنبط من كلامه ، الا انه نشأ في عصر انتهت فيه اللغة الى ابعد غايات الحسن وبلغت أقصى نهايات الجودة والظرف ، فكانوا اذا نزعوا عن اللغة برداً قشيباً خلعوا عليها برداً أقشب ، واذا جرّدوها من ديباجة طريفة ألبسوها ديباجة أطرف ، وحسبي ان أذكر من أئمة ذاك العصر ابن العميد والخوارزمي والصابي والصاحب والبديع والثعالبي وأمثالهم من الذين حسنت بهم صناعة الانشاء ، وما بينهم وبين الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الا فيئة من الدهر ، فكانت اللغة في حصن حصين وركن ركين فلم يكن في تجديدهم خوف عليها ، وما انحطت اللغة عن طبقتها الا لما ذهبوا بين سمع الارض وبصرها . اما المجدّدون في هذا العصر فقد بالغت طائفة منهم في الامر حتى أصبح جديدهم خلقاً رثيثاً . فذهبوا الى إطراح كل قديم ومحدث ، وجاهلي ومخضرم ، واعرابي ومولّد ، فلم يستملح ذوقهم كلام الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد وأشباههم من امراء البيان . وزعموا ان أساليب المتقدمين لا تسع علوم هذا العصر ولا تستوعب طرائف الحضارة وبدائعها فاذا بدّلوا أنماط التفكير لزمهم ان يبدلوا أساليب الكلام ، وهذا موطن الغلو في آرائهم . لئن ارتقى الفكر البشري في هذا العصر فان كلام العرب منحط عن طبقته في الجاهلية والاسلام . فاذا لم يبلغ كلامنا اليوم مبالغ كلام المتقدمين فأي عذر لنا في الشذوذ عن أساليبهم ، وكيف نزعم أن لغتنا اعلى من لغة القرآن والمنسحبين على أذيال القرآن .

ترجم الدكتور ماردروس القرآن الى لغته الفرنسية بعد ان استعد لهذا الامر عشرين سنة وقد كتب عن هذه الترجمة الاستاذ بارلوسكي مقالة في مجلة (Les Annales) جاء في خاتمتها ما يلي :

« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع معه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم . واستنتج الدكتور من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وأنزلت منازلها كانت سحراً حلالاً » .

فمن الذي يتبجح اليوم بان يأتي بكلام ينزل على أكباد ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحرّى · فاللغة التي تحرج عليها طائفة المجددين هي لغة جمهور من الكتاب والخطباء والشعراء تدارسوا كلام القرآن حيناً من الدهر طويلاً حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من شعاب البلاغة · تزعم هذه الطائفة انها تذهب مذاهب الغربيين في كتابتها فكأنما خيل اليها ان أدباء الغرب لا يبالون بقدماء كتابهم وشعرائهم ·

هذا اناتول فرانس بأقمة دهره !

تحدرت اليه بلاغة المتقدمين فحل في الإنشاء المحل الارفع حتى اطبق أدباء وطنه وفيهم عدوه وصديقه على الاعتراف بان اناتول حفظ اللغة في القرن العشرين ، فلم يتطرق اليها الفساد · فلولا حرص اناتول على اللغة القديمة وتعلقه باهدابها لم يكن له المنزلة الرفيعة في الأدب ·

وما اللغة القديمة التي يحرص عليها اناتول الا لغة المدرسيين اي لغة القرن السابع عشر والقرن السابع عشر أطيب عصور الأدب الفرنسي ، فقد بلغت فيه اللغة المبالغ وبينها وبين لغة كتابنا البلغاء امثال ابن المقفع شبه عظيم وان رجلاً حفظ لغة قومه لجدير بان نعرف سيرته ، ونتقيل طريقته ·

الكلام عن (اناتول فرانس) بعيد الشقة ، مترامي الاطراف ، فلا يأمن الغائص على هذا اللؤلؤ المكنون ان يغرق في لجة خضم ملتطم الأمواج · واني أخاف اذا حاولت ان اقول عنه كل شيء ان لا اقول شيئاً · واني لأخشى اذا اردت ان اعرض على الجمهور كل طرائفه ان لا اعرض طريفة · فآثرت ان أُلمّ باناتول إلماماً دون الافاضة في مطولات اخباره وآرائه · ولو اردت ان أُشبع القول في عبقريته لعمدت الى كتب ومجلات وصحف شتى توغل اصحابها في هذا الافق المبسط كل متوغل · بيد اني احببت ان أبرز آثاراً بقيت في نفسي ورسوماً رسخت في ذهني من مطالعة بعض كتب ألّفها اناتول فرانس · واني ارى ان الباحث عن اديب من الادباء اذا اجتمعت له عناصر البحث وتوفرت لديه مواد التنقيب لزمه ان يكون مستقلاً في حكمه ، حتى يكون هذا الحكم صادقاً ، ولكنه اذا نقل ما قاله الناس دون اعمال فكره كانت الصورة التي يعرضها مزورة مرقشة ·

ولد اناتول فرانس في باريز سنة ١٨٤٤ فكان لمشاهد جواد باريز الجميلة تأثير كبير في ذهنه فقد كانت هذه الجواد يومئذ هادئة مخضلّة فكان اناتول يسرّح الطرف في قصر (اللوفر) و يصوب النظر و يصعده في قصر (مازاران) فملأت هذه المباني عينه ، وغمرت قلبه فمتع خلقه برونقها ومزج في يحته برقتها ، ولم يصدق انها من آثار البشر . فكان الشك يختلج في صدره ، وقد بعثه تأمله هذا على الشغف بالفنون والحنين الى الماضي وكان ابوه كتبياً فأيقظت فيه هذه الحرفة ولعاً بالادب القديم و بالكتابة .

* * *

من محاسن ادب الافرنجة انك اذا تفرغت للكلام عن اديب من أدبائهم اوشاعر من شعرائهم او خطيب من خطبائهم الى غير هذه الطبقات من الناس الذين يقلبون العالم بنسج طبائعهم وسبك افهامهم وصوغ اذهانهم وجدت في بعض الاحايين مجال القول ذا سعة ، فانك لا تشاء ان تعرف شيئاً عن اخلاق هذه الطبقات وآرائهم وعاداتهم وتقاليدهم واوضاعهم ونشأتهم ومحناتهم وحياتهم الا عرفته . وقد بالغوا في ذلك فوصفوا في كتبهم كيف ولدوا وكيف عاشوا وكيف رباهم اهلهم . ووصفوا اخلاق آبائهم وأمهاتهم فيقيدون كل شاردة و يدونون كل نادرة وقد يتولى ادباؤهم وصف حياتهم باقلامهم ، والمرء اعرف ببواطنه وكوامنه من غيره ، وهذا النمط قليل في ادب العرب .

من هؤلاء الكتاب الذين وصفوا في كتبهم بدأة حياتهم وميعة شبابهم اناتول فرانس فهو يرى ان اتقان الكتاب لهذا الطراز اشد من اتقانهم لغيره فانهم يجدون لذة في هذا الوصف فيحملون القراء على مشاركتهم في اللذة وقلما ينزل الوحي على كاتب مثل ما ينزل عليه وهو يكتب عن خوالجه ولواعجه ، فأجمل كتب روسو «اعترافاته» واجمل كتب شاتو بريان «مذكرات ما وراء القبر» .

الف اناتول فرانس اربعة كتب رائعة تصرّف به الكلام في تصوير حياته كل متصرف ، واناتول فرانس كلف بالاستطراد في كتاباته فهو يخرج من الجد الى الهزل ، ومن الحزن الى السهل تفيّأ للكمال وبعداً من الملل فكثيراً ما يحب ان يلهو في سبيله ، فاذا مضى لطيته ولم يلوِ على شيء وصل الى غرضه في طرفة عين وهذا

ما لا يريده ، فانه يرى اللذة في الجيئة والذهوب لان التنقل في الكلام مدرجة الى اللهو وهذا هو طراز الجاحظ في الكتابة والتأليف ·

كان والد اناتول يرى في اول نشأة ولده ان عقل كلبه يفوق اكثر من عقل ابنه ، فلم يقع في خلده انه يأتي يوم يصبح فيه اناتول مفرداً علماً يملأ الدنيا و يشغل الناس ·

وقد كان بين اناتول وابيه اختلاف في المعتقد والذوق فكان والد اناتول يؤمن بإله يخالف عن هذا العالم ، و بروح تختلف عن هذا الجسم ، اما اناتول فانه لم يعن بما وراء الطبيعة ولم يصدق كل ما يقال له · وقد شرع وهو طفل صغير في تعلم الكتابة فحاول ان يكتب في اللاهوت والأخلاق فافتتح كتابته بهذا الكلام « ماهوالله » وعرض العبارة على أمه فأوعزت اليه في وضع علامة الاستفهام بعد كلمة « الله » إشارة الى انه يسأل عن امر يجهله ، فاستعصى وقال : اني اعرف الله ولا استفهم وطال الجدال بينهما وامتنع عن وضع العلامة ·

قال اناتول : وقد تغير طبعي من ذاك الحين فاني لا امتنع عن وضع علامة الاستفهام في كل مقام مناسب وقد أتعرض لوضع هذه العلامة في كل ما أكتب واقول وفي كل ما أفكر فيه · ولو تراخى اجل أمي لقالت لي « لقد جاوزت الحد يا اناتول » وفي هذا الكلام إشارة الى ان اناتول يشك في كل شيء في العالم · فان فلسفته الشك ، ووضع علامة الاستفهام بعد الكلمة إلماع الى الشك ، على انه يقول مهما كان شكنا الفلسفي فاننا مضطرون الى ان نعمل في الحياة كأننا لم نشك في شيء · فلم يكن مذهب اناتول الشك المطلق فهو يخشى هاتين الكلمتين الجافتين « انا اشك » لان المرء اذا كان شك في الامور وجب عليه ان يسكت فالكلام إثبات واناتول لم يجرأ على السكوت والاعتزال فقد شاء ان يؤمن فآمن الا انه آمن بان الامور نسبية في هذه الدنيا ·

كان اناتول يرى ان ايمان ابيه بالله هو الذي جعله متفائلاً بالحياة ، الا ان هذا الوالد كان مع تفاؤله سوداوياً قليل الضحك قليل الميل الى المزاح ، اما اناتول فقد اخذ عن ابيه مذهب التفاؤل الا انه كان فرحاً في حياته على خلاف ابيه ، فقد نظر الى الحياة من وجهها الصحيح فلم تغلب عليه السوداء التي غلبت على ابيه ، ولا مثلت له

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأوهام اموراً لا حقيقة لها ، فليس في الدنيا على مايقول حياة حسنة ولا حياة سيئة ، لا شيء شريف او معيب في ذاته ولا شيء عادل او غير عادل ، لذيذ او أليم ، صالح او فاسد . وانما الرجل هو الذي يحمل صفات للاشياء كما يحمل الملح طعماً للمآكل . هذا هو رأي اناتول في الحياة وهو يقول من عاش صحت نفسه فطلب المطالب وبقدر ما يحسب المرء ان مطلبه حلو او مر تكون الحياة في نظره حسنة او سيئة . يألم الرجال لانهم ليس في ايديهم ما يظنون انه خير او اذا صار اليهم هذا الخير خافوا ضياعه ، و يألمون ايضاً لانهم يكابدون ما يظنون انه شر من الشرور فاذا بطلت هذه المعتقدات ذهبت آلامهم ، والناس سواء في عجزهم عن عمل الخير والشر فان الخير والشر لا اثرلهما الا في الرأي . والعاقل من الناس يرى العادة والمصطلح اصل كل شيء . هذا هو معنى كلامه « الامور نسبية في هذه الدنيا » . وقد قذف ابو الطيب المتنبي هذه الفلسفة في بيت فقال :

راعتك رائعة البياض بمفرقي ولو انها الاولى لراع الاسحم

البشر في نظر اناتول هم الذين يستجلبون العذاب الى قلوبهم و يدخلون الآلام على نفوسهم فاسمع ما قاله في الحزن وكيف علله :

« أشد ما يكون حذقنا باستجلاب العذاب الى قلوبنا ، وأعظم ما تكون مهارتنا في جر الألم الى نفوسنا ، لقد ضاعفنا آلامنا وتمم انقصنا آلاء اللذة حواسنا . لقد ظهرت منذ بدء الخليقة ونشوء العالم امرأة مقنعة اسمها «ألم وبداء» ولكن فلنعدل دون شيء من الاشتطاط فقد أضفنا ولا ريب بعض الشيء الى احزان النفس ولكل منا نصيب في إنشاء هذه الآلام ، آلام الروح .

العلم لا ينشئ شيئاً من السعادة ، فقد قطفنا ثمر شجرة العلم واكلناه ، ولم يبق منه في الأفواه الا طعم الرماد . لقد مشينا في مناكب الارض وخالطنا أمماً شتى منها السود والحمر والصفر ، وبان لنا اختلاف البشرية ، ورأينا ان هذا الاختلاف اعظم مما كنا نتصوره ، ووجدنا انفسنا أمام اخوان اجانب لا تشابه ارواحهم ارواحنا الا بقدر ما تشابهها ارواح الحيوانات ، ثم جلنا في الفكر كل مجال فقلنا ما هذه البشرية التي تتغير سحناتها وارواحها وآلهتها بتغير مبآتها ، كنا لا نعرف من الارض الا حقولها التي كانت تخرج لنا الخيرات وكانت هذه الارض كبيرة في اعيننا فلما عرفنا مقامها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في العالم تصوّر لنا صغرها ، فقد علمنا انها ما كانت الا قطرة طين ، فوضع هذا العلم منا ، وكنا محمومين على الظن بان اشكال الحياة والعقل كانت اعظم مما تمثل لنا ، وان في الكواكب والعوالم بجماعها مخلوقات تفكر ، ففهمنا بعد ذلك ان عقلنا صغير . ان الحياة في ذاتها لا هي طويلة ولا هي قصيرة . والأغرار الذين يقيسونها بالنسبة الى مدتها الوسطى يقولون والحق يقولون ان المرء اذا مات بعد ان يخطه الشيب فقد قضى لبانته من الحياة ، اما نحن فما ذا صنعنا ؟ فقد شئنا ان نحزر عمر الارض القديم وعمر الشمس وها نحن الآن نقيس حياة البشر على ادوار طبقات الارض وعلى اعمار العوالم فرأينا بعد هذا القياس ان الحياة قصيرة ، غرقنا في بحر الزمن والمسافة فتبين لنا اننا لم نك شيئاً فثقل علينا هذا الامر ولم نشأ ان نقول شيئاً بسبب كبريائنا فخجلنا واصفرت وجوهنا والخطب الجلل ان ايماننا ذهب بذهاب جمالنا الحسنة ذهب رجاؤنا واضمحل املنا فلم نؤمن اليوم بشيء كان عزاء لآبائنا وهذا شديد علينا ، فقد كان الايمان يجهم نفسها يطيب ويعذب .

ومما زاد في بؤسنا ان تكاليف الحياة المادية اصبحت اثقل من قبل ، فان الجماعات الحديثة قد جوّزت ضروب الاماني فاستثارت بذلك كل مجهود . واصبح التزاحم على الحياة والتنازع فيها اشد من كل دهر وصار الظافرون احمق ، والمنكسرون اعظم انكساراً ، لقد اضعنا حب الخير بضياع الايمان والرجاء وكانت هذه الفضائل الثلاث تحمل الأرواح البائسة على ظهر هذا البحر ، بحر العالم ، فمن الذي يأتينا اليوم بالايمان والرجاء وحب الخير ! » .

* * *

كان اناتول سعيداً في حداثة سنه ولكنه يقول : السعداء لا يعرفون اموراً كثيرة عن الحياة فالألم هو مهذب الرجال الأكبر والألم هو الذي علمهم الفنون والشعر والأخلاق وهو الذي اوحى اليهم البطولة والشفقة وهو الذي جعل قيمة للحياة عندما يغامر الناس في حياتهم .

ومن كان متفائلاً بالحياة فأخلق به ان يكره الموت ، و يخاف شدته ، واناتول من الذين يكرهون الموت قال :

كان الموت في كل دهر من الدهور مخوفاً فظيعاً ، ومهما قالوا لك لا ينبغي لمرء ان تأخذه المخافة من ظلمة اللحد وضيق الأرماس فما الموت الا العدم فالرجل يجيب عن مقالهم هذا بان الساعة الأخيرة تملأ القلوب خوفاً ورعباً . كان الاغريق يرهبون غم الضريح ويخشون هول الموت الا انهم لم يقبحوه ولا شنعوه ، فان مخيلاتهم قد زينت كل امر من امور الدنيا وجعلت لقلع الحياة بهجة ورونقاً اما القرون الوسطى فقد هولت علينا بنار جهنم وخوفتنا بخيالات كئيبة مستكرهة فصورت لنا شياطين تمر بنا فتنتزع من بين جوانب المذنبين أرواحهم ورعبتنا بصور المقابر المحزنة واشكال الهيا كل العظمية والديدان التي تأكل لحم الاجسام الفاسد وعلى هذا كان الموت شديداً .

ولم يذهب هول المقابر الا في القرن الثامن عشر فقد كانوا يجعلون في اعالي القبور الاواني المستظرفة والرياحين والأزاهير فكانت هذه القبور زينة بساتين الانكليز وحدائقهم » .

لم تفجع باريز وحدها باناتول فرانس وانما فجعت به البشرية برمتها ، لان اناتول رجل الانسانية وليس حظ وطنه منه باوفر من حظ العالم باسره . يقول اناتول : لا يكون الواحد منا انساناً الا اذا أشفق على أخيه ، فلا يليق بنا ان نستحيل جلود صخر فلنشفق على الضعفاء لانهم يألمون من الأقوياء ولنترأف بالسعداء في هذا العالم فقد جاء في الكتاب « ويل للذين يضحكون » .

كان اناتول شفيقاً على الضعفاء وقد بلغت به شفقته المبالغ فكانت عطفه على الضعفاء الذين يألمون من الضهد مثل عطفه على الضعفاء الذين ينشأ ضعفهم عن أعصابهم فيذهبون في الحب كل مذهب . الّف الكساندر دوما رواية بحث فيها عن مقتل رجل لزوجته لخروجها عن العفاف . قال اناتول « لو كنت قاضياً لما برأت القاتل من جنايته اللهم الا ان يطبق اطباء الشرع على انه مصاب بفالج في جملة اعضائه ، ولا عجب في ذلك ، فان قتل المرأة لأمر عجاب وهيهات ما يطاق الذين يجترؤن على اشباه هذه المذابح . لا ريب في ان زوجة هذا القاتل كانت فاسدة الخلق ، ذات غرائز سيئة ، ولكن هل نسأل عن غرائزنا ، الم يك للتربية والميراث تأثير في اعمالنا . فمن موجب الاسف اننا نولد معوجين لا سبيل الى تقويم اعوجاجنا ، اننا نولد شيباً لا شباناً . لو فكر القاتل

في العناصر التي تؤلف جسم زوجته اللطيف لما حطم هذه الآلة الدقيقة ، ولكان غفر لهذه الروح المظلمة جناية أعصابها ودمها . اسمع ما تقوله الفلسفة الطبيعية في شعرها « ان لأمور الحب أسراراً غامضة ، ان غرائز المتقدمين التي كانت في الاصل تجمع في بطون الغاب بين أطراف الأبدان المعراة هي نفسها التي تقلق اليوم المرأة تحت ثيابها النفيسة . ما فتئت المرأة تحفظ دمحواء الغابات الكبيرة على علمها بالخفر ، وحرصها على القوانين » .

يعرف اناتول كل ما يستوجبه الأدب ومعاذ الله ان يذهل عنه ، ولكنه يرى ان الرأفة هي احسن الفضائل وان الفلسفة الطبيعية تعلم المسامحة وفضلاً عن ذلك فاذا جاء امر الحب فلا نجد الى التمييز سبيلاً — حبك الشيء يعمي ويصم —

الحب في رأي اناتول فرانس هو اللذة التي تحمل الأنواع الحيوانية على التزاوج والتناسل ، فهو عنده بمنزلة بقاء النوع عندعلماء التاريخ الطبيعي ، وقد ألهه في كتاباته ، فهو في نظره أقدم الآلهة .

لما ولد هذا الاله لم يكن في العالم اثر من آثار العدل والعقل فلم يجد هذا الاله التعس شيئاً يخلق به دماغاً وعيوناً وآذاناً . ولد أعمى فهو الآن على الصورة التي ولد عليها وسيبقى على هذا الشكل في كل دهر ، يعمل فيخبط في اعماله خبطاً دون شيء من الروية ، الق نظرة على اعماله انها عظيمة ! لقد خلق كل شيء ولكنه خلق بغير عقل ولا فهم ، لقد برأ في اول الامر . حيوانات لله درها من حيوانات ! انه خلق أصدافاً وأسماكاً وزواحف ، وقد كان هذا الاله يومئذ يعيش في الماء ثم حسّن على سبيل الاتفاق والتدرج طرائقه نخلق الحيوانات اللبونة ، التي أتعبته وأجهدته ثم خلق القردة فبقيت القردة زمناًطويلاً آياته الرائعة ، وقدخلق الانسان بعدالقردة فلم يغير هذاالاله من طبيعته ، ولم يبدل من طريقته ، فبقي اعمى كما كان ولم يستعن بالعقل ولن يستعين به سجيس الليالي وهو محق في ذلك لان الحياة سرعان ما تنتهي اذا كان نشزها معقوداً بالعقل .

ان هذا الاله اعمى ولكنه يقودنا والشر كل الشر في ذلك ولكنه شر ابدي ، لان الحب يدوم ما دامت العوالم ، اننا نقاومه ونستولي عليه اذا كان اضعف منا ،

ولكنه اذا اشتد استولى علينا وهذا ما يسمونه : منازعة الهوى ومثل الارادة والغريزة كمثل كفتي ميزان فالكفة الثقيلة هي التي ترجح وتميل ٠

هذا هو الحب في نظر اناتول فرانس فقد كان سبب حياة الحيوانات من أدناها الى ارقاها ، وهو غريزي في البشر من مبدإ الخليقة الى منتهاها ٠ وهذا ما حمل اناتول على الرأفة بالفاجرة التي خرجت عن العفاف لانها لم تخرج عنه الا بعوامل غريزية متمكنة من لحمها ودمها وأعصابها فلا سبيل لها الى التخلص منها ٠٠٠

قلت في صدر المحاضرة كان بين اناتول وبين ابيه اختلاف في المعتقد وقد امتد هذا الاختلاف الى الذوق فقد كان اناتول يميل الى النمط المدرسي ، ما هو النمط المدرسي ؟ بعد ان همت شآبيب الثورة الفرنسية ولمعت عوارضها انفجرت ثورة أدبية خلقية قلبت طرائق التفكير والحس واسمها النمط الوجداني بدأ بها مدام ستال وشاتو بريان وتجسمت في اربعة شعراء كبار وهم : لامارتين وموسة وفيني وهوغو كان المدرسيون أمثال الشاعرين بوالو وراسين يرون ان يمثلوا في فنهم جمال الحياة ويعتبرون العقل في الشعر الملكة الغالبة ويقتبسون عن التاريخ القديم نماذج فنهم و يستنزلون وحيهم من سماء الامم المتقدمة تخرج الوجدانيون على هذه القواعد بحذافيرها وهدموا بناء المدرسيين ، فرأوا ان يمثلوا في فنهم كل ما هو شنيع ومضحك في الحياة ، وان يكون الخيال الملكة الغالبة ، وان يستنزلوا وحيهم من ادب الامم العصرية فيأخذوا عن غيتي وشلّر و بايرون وشكسبير ، فبدلاً من ان يكتبوا عن اساطير الاولين كتبوا عن الفن النصراني في القرون الوسطى ٠

فاناتول فرانس كان يميل الى الفن المدرسي اي انه كان على النمط القديم ، وله في النقد أُسلوب خاص فهو من فرقة النقد الذاتي فانه يغتنم فرصة ظهور كتاب من الكتب فيفصح عن خوالج نفسه ، ويعرب عن رأي يخامر ضميره وقد جمع رسائل نقده في اربعة كتب سماها « الحياة الادبية » تكاد هذه الكتب تكون مملة ٠ يرى اناتول ان النقد انما هو ضرب من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تستعمله العقول الفطنة الطلعة وكل رواية اذا فهمناها كل الفهم انما هي ترجمة المؤلف بقلمه ، فالناقد الحاذق هو الذي يروي خوالج نفسه في اثناء روائع المؤلفات وهذا الطراز في النقد يسمى النقدالذاتي ،

قال اناتول : « لا يوجد نقد موضوعي اكثر مما يوجد فن موضوعي ، وكل الذين يتبجحون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير لواعج انفسهم فهم واهمون ، فالحقيقة ان المرء لا يخرج من نفسه ابداً وهذا من اكبر شقاء الانسانية .

اننا محبوسون في أنفسنا فكأننا في حبس ابدي ، فالذي يليق بنا ان نعمله هو ان نعترف بحالتنا الفظيعة ونقرّ باننا نتكلم عن انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول :

« سادتي اني اريد ان اتكلم عني في اثناء كلامي عن شكسبير او راسين او باسكال او غيتي فان في ذلك فرصة جميلة » .

قال اناتول تعرفت الى المسيو كوفيليه فلوري وقد كان ناقداً قديماً ، وفي ذات يوم انطلقت نحوه وهو في داره الصغيرة فأراني مكتبته الحقيرة التي كان يفتخر بها وقال :

« سيدي انك تجد كل الأنواع ممثلة في هذه المكتبة كالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ ما خلا النقد فانه يحيط بكل الانواع ، نعم يا سيدي فالناقد يكون تارة خطيباً ، وتارة فيلسوفاً ، وتارة مؤرخاً » . لقد أصاب المسيو كوفيليه فلوري في كلامه فالناقد يجمع كل هذه الصفات او انه قد يمكنه جمعها فاذا أراد ان يبرز ابدر القوى العقلية واشدها تنوعاً واختلافاً امكنته مناهز الفرص ، وهو يعمل تاريخ البشر العقلي من دون ان يخرج من نفسه ، فالنقد من حيث التاريخ هو آخر صيغة من الصيغ الادبية كلها وربما وصل الى استغراق هذه الصيغ كلها فانه يليق كل اللياقة بالجماعة الممدنة التي تكون ذكرها كثيرة وتقاليدها طويلة وعلى الخصوص فانه مناسب للجماعات الطُلَعة ، المتعلمة ، المصقولة ، ونقدم النقد يستلزم ثقافة اكثر مما تستلزمه كل الصيغ الادبية الباقية . ابتدع النقد مونتان وباننوف وبايل ومونتسكيو فانه يتحدر من الفلسفة والتاريخ وقد استوجب انتشاره وترقيه جيلاً اطلقت فيه الحرية العقلية » .

هذا هو نظر اناتول فرانس في النقد وقد كان نقده اشبه شيء باحاديث يطارحها اهله وخلطاءه وكان يسير فيه سير المتنزه . فيقف حيث يطيب له الوقوف ويسترسل الى اذواقه وخيالاته على شرط ان يكون في هذا كله صادقاً ، اميناً ، رؤوفاً فلا يريد

ان يعرف كل شيء ولا يشاء ان يفسر كل شيء ويعتقد باختلاف الآراء وتباين العواطف ويتكلم عما يجب أن يحب ·

شغف اناتول فرانس بالنمط القديم شغفاً عظيماً ، فانظر الى رأيه في هوغو وهو من اكابر الشعراء المجددين ·

« لا جرم ان علاج هوغو للكلمات كان اكثر من علاجه للافكار فقد ظهر انه أدمج في أسمى الفلسفات طائفة من الخيالات والاحلام متقطعة مبتذلة ، والذي يؤلمنا ويفزعنا اننا لا نرى في تآليفه الكبيرة بين الكثير من اشخاصه الفظيعة صورة بشرية · قال الأغريق : الرجل مقياس كل شيء الا ان فيكتور هوغو جاوز كل قياس لانه غير انساني ولم ينكشف له قط سر النفوس · لم يخلق هوغو ليفهم ويحب ، وقد شعر بذلك من غريزته ولهذا فقد أراد ان يدهش الناس وقدر على ذلك حيناً من الدهر طويلاً ، ولكن هل يستطيع المرء ان يدهش غيره في كل وقت · عاش فيكتور هوغو ثملاً تسكره الألوان ورنات الأصوات وقد أسكر العالم بذلك · هذه هي عبقريته كلها انه ذو افكار غريبة وانه متقطع النظر وهذا شيء كثير ولكنه ليس بكل شيء ·

هذا هو رأي اناتول في هوغو فان اناتول شغف بلغته القديمة ، ذاهب في الحرص عليها كل مذهب ، ولع بمفردات اللغة لانه يرى في هذه اللغة صورة وطنه وقومه من قديم الدهر وحديثه ، ومرآة تنعكس فيها حضارة أمته ، فاللغة ملكت عليه عقله ولبه فهو يحب معجمات اللغة لانها تحتوي على شيء جميل نحم فقد قال :

« انظر الى معجم غازيه او غيره من المعجمات ، وتصور انك ترى روح وطننا في هذا المعجم ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات عبقرية فرنسة وطبيعتها · ليتصور ذهنك ان فيها أفكارنا وأفكار اجدادنا ، وأفراحنا وأفراحهم ، وأعمالنا وأعمالهم ، وآلامنا وآلامهم · ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، وآثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم الرقيق الذي نشمه اليوم · ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك ان كل هذه الكلمات مجموعة تناهي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها » ·

بحث اناتول فرانس في كتابه «العبقرية اللاتينية» عن لغة الشاعر لافونتين فقال :
كان لافونتين يولع بالكلمات و يعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا حسن اختيـاره للالفاظ . فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الإصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة . واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ . قد يقع في أغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا . ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يفيء ظلة كل شيء .

اني لاجد عناء في بيان المآخذ التي أخذ عنها لافونتين أسلوبه ، لقد اخذ عن المتقدمين من الشعراء والقصاص ، يحب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة جزلة المعنى استخرجها من موضعها واستعملها في شعره في المقام المناسب . وقد استعمل ايضاً في أشعاره عدداً كبيراً من التعابير التي استعملت في عصر غير عصره ، ولكنه اعاد الى هذه التعابير شبابها .

فلا ينبغي لنا ان نضيع شيئاً مما يمكن ان ينفعنا ، وهذه حكمة اقتصادية تنطبق على كل الخيرات ، فهي تنطبق على خيرات اللغة كما تنطبق على غيرها فاذا أضاعت كلمة طيبة الأصل معناها الاول واصبحت لا تستعمل الا في معناها الخاص او في معناها المحرف ، فجدير بالكاتب الحكيم ان يعيد الى هذه الكلمة سعة معناها الاول وفحمته وعلى هذا مشى راسين ولافونتين . ثم قال :

يتبين لنا ان لافونتين الذي استعمل هذه الكلمات كلها لم يخترع شيئاً منها وليعلم الانسان ان حذاق الكتاب هم في الأعم من الأحوال قليلو الميل الى توليد الألفاظ ، فان كنز اللغة المشترك كاف وهذا الكنز لا ينقب فيه الذين يكتبون على السواء ، فكثير منهم لا يجدون فيه ما يحتاجون اليه اما لكسلهم واما لفقدان عبقريتهم . اما لافونتين فقد استخرج منه كنوزاً .

وبعد ان اشبع اناتول الكلام في لغة لافونتين قال :

« اتمنى لو ان آرائي هذه تقوي في بعض العقول محبة لغتنا ، لقد تغيرت هذه اللغة مرات كثيرة ، ولكن لم تتغير الا محاسنها . لقد قوي اسرها ، وانبسط أفقها

واغناها كل نشيء من عنده بكلمات تدل على افكار وعواطف وافراح وآلام وعلى مجهود ملايين من الناس ، لقد جاءت الينا على هذا النحو مترعة الجوانب من قرن الى قرن ، وهذا الميراث الوطني عزيز على كل النفوس التي تحب وطنها ٠

* * *

هذا بعض ما تمثله الخاطر وتصوره البال من آيات اناتول فرانس ، وما ذكرته انا هو غيض من فيض ٠ ولئن فاتني كثير من صوب عقله ، ونسج طبعه ٠ فلا يفوتني حفظه لغة قومه في القرن العشرين ، ودعوته شباب وطنه الى المحبة لغتهم ٠ فقد ملكت عليه لغته مشاعره ، احسن اليها ولم يسيء ، وبرّها ولم يعق ، واشفق عليها ولم يك جباراً عنيداً ، ولم يرفيها رأي طائفة من أدبائنا في هذا العصر رغبوا عن لغتنا القديمة كل مرغب ، وانقبضوا عنها كل منقبض على انه ما ادخرت الآباء للابناء ، ولا أبقت الموتى للاحياء شيئاً افضل من هذه اللغة ٠ ولئن عبثت الايام بتبديد ملكنا فانها عجزت عن العبث بميراثنا الوطني وهو اللغة ٠ صارعت لغتنا لغات شتى تعاقبت في آفاق الشام من قديم الدهر[1] فصرعت هذه اللغات بجذافيرها ، بعد ان سلبت حضارات اهلها اجمل جمالها واحسن حسنها وتمكنت في ربوع الشام وكثير من بقاع الارض تمكن الاحياء الذين صارعهم الطبيعة وصارعوها ومارستهم ومارسوها فعجزت عنهم فتركتهم وشأنهم يستضيئون بضيائها و يستنشقون من نسيمها ، اشتملت لغتنا على بداوة الجاهلية وحضارة الاسلام ٠ واستوعبت شدة بني أمية ورخاوة بني العباس ٠ ولئن درست رسومنا وطمست آثارنا فأضعنا ما أضعنا فقد بقي لنا رمم حفظ لنا ما قذفت به الخواطر وجاشت به الصدور ٠ فرحم الله امرءاً تعهد هذا الرمم وتفقده ، فزاد في محاسنه ونقص من مقابحه !

---

(١) ألق نظرة على الجزء الاول من خطط الشام للاستاذ العلاّمة رئيس مجمعنا العلمي ، وتدبر فيه فصل « لغات الشام » البارع

قانون البلاغة

— ٤ —

قال الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر · وقيل للعتابي : ما البلاغة فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ · فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ، ويفوت كل خطيب ، فاظهار ما غمض من الامر ، وتصوير الباطل في صورة الحق · واعلم أسعدك الله انه لا يتسع جريك في مضمار البلاغة ، وان كانت القريحة في نهاية الذكاء والثقافة ، الا بالاتساع في دراسة العلوم ، والافتنان في الآداب ، وحفظ مجامع اللغة ، والنظر في احكام الكتاب والسنة ، للتفقه في لحن المنطق والتفسح في معرفة الألفاظ ، فلا تبدع في بداهة بل تجول (في خطاب (كذا) او كتاب ابتداءً وجواباً عزوب لفظ من اللغة ، او استعجام غريب من القول عليك ، فيكشفك من الحصر ما (كشف) عمرو بن مسعدة عند محادلة الحائك إياه : فانه حكى يوسف بن حماد قال : سمعت عمرو بن مسعدة[1] يقول : كنت مع المعتصم مقدمه من الثغر فلما بلغنا الرقة قال لي : يا عمرو الا تعجب من داود بن سليمان الرجحي[2] بالاهواز وفي بيت المال ونيله الدنيا : عنده اموال مجتمعة وقد كتب اليّ باشياء لا يعذر مثله في مثلها فاخرج اليه حتى تحمله في الحديد وتنقل ما قبله من المال فخرجت فبينا انا اسير بين دير هرقل

(١) في الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ان هذه القصة وقعت للرشيد مع وزيره عمرو بن مسعدة (راجع ص ١٥٦ من الجزء الثاني طبعة محمد مصطفى فهمي المصرية) وفي العقد لابن عبد ربه انها وقعت للمعتصم مع عمرو بن مسعدة وهو غير صحيح لان عمراً هذا توفي سنة ٢١٧ · وفي هامش النسخة الاصلية هكذا : طبقات الكتاب المشاهير عبدالحميد وابن العميد واحمد بن يوسف واسماعيل بن صبيح وعمرو بن مسعدة · (٢) قوله الا تعجب الى آخره مكان هذه العبارة من كتاب الإمامة والسياسة ما نصه : ما زلت تكنني وتستلطفني في الرجحي حتى وليته الأهواز فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ولم يوجه الينا درهماً ، فاخرج اليه الخ ·

ودير العاقول في وقت الهاجرة في زلال [١] فيه خيش وثلج ، سمعت صائحاً ينادي بإملاح صوتاً بعد صوت فلما كثر ذلك عليَّ رفعت سجف الزلال ، فاذا انا بشيخ حاسر الرأس حافي الرجل على الشط فحملته فلما دعوت بالطعام دعوته فأكل أكل متأدب ، فلما رفع الطعام قدرت انه يقوم كما يقوم العامة من موائد الخاصة ، فلم يفعل فاستحمقته فقلت : ما صناعتك فقال : حائك أعزك الله . ثم قال : وانت اي شيء تعمل جعلت فداك قلت : كاتب فقال : اضحك الله من اي الكتاب انت فانهم خمسة أصناف . قال عمرو فوردت عليَّ منه طامة ثم قلت له : سمهم فقال : كاتب خراج ، وكاتب رسائل ، وكاتب حاكم ، وكاتب جند ، وكاتب معونة .

اما كاتب الخراج فيحتاج الى ان يكون عالماً بالطسوق [٢] والمساحة والمقايسات خبيراً بالحساب . اما كاتب الرسائل فان يكون عارفاً بالاصول والفروع ، والفصول والوصول ، حاذقاً بالاعجاز والصدور ، والفتوح والعهود . واما كاتب الحاكم فان يكون عالماً بالاحكام حافظاً للشروط حاذقاً باختلاف الناس في الاموال والفروج . واما كاتب الجند فان يكون عالماً بشيات الخيل وحلى الرجال . واما كاتب المعونة اي الشرطة فان يكون عالماً بالقصاص والجراحات والحدود .

فقلت له : فاني كاتب رسائل . فقال لي : أخ من إخوانك واجب الحق عليك ، تزوجت امه كيف تهنؤه ، ففكرت ساعة ولم يتجه لي شيء فقلت : لا أكاتبه لانه بالمصاب أشبه فقال : فعزه إذن ، ففكرت ساعة فلم يجئني فيه شيء فقلت له : اقلني من هذا الفن فاني كاتب خراج قال : فان سلطانك بعثك على ناحية ، وتقدم اليك بالعدل والانصاف ، وامرك ان لا تدع شيئاً من حق السلطان يضيع ، وحذرك ان تشكى ، فأخرجت عمالك ، وتقدمت اليهم بالعدل ، وحذرتهم ان يُشكوا ، فقدم

(١) الزلال كغراب ضرب من السفن التي تسير في دجلة كالحراقة والطيار .

(٢) الطسق ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الارض وكتب عمر الى عثمان : ارفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطسق من ارضيها . وقيل شبه الخراج له مقدار معلوم .

عليك اهل الناحية يشكون عمالك ، فأشخصتهم وسألتهم عن ذلك ، فحلفوا بالله لقد انصفوهم ولقد خشوا ان يكونوا جافوا [1] على السلطان فخرجت الى العمل بنفسك ناظراً ، فوقفوا بك على قراح [2] لان تمسحه كيف تمسحه ففكرت ساعة وتجاسرت في الجواب ثم قلت : آخذ وسطه ثم آخذ طوله فاضرب به فيه ، فقال : تختلف عليك العطوف ؛ قلت : آخذ طوله وعرضه من ثلاثة مواضع فقال : ان طرفيه محددان ، وفي تحديدهما تقويس ·
ففكرت ساعة فاعياني الجواب فيه ، ولم يتجه لي فيه شيء فقلت له اقلني من هذا الفن فاني كاتبُ قاضٍ · فقال : ان رجلاً أحبل حرةً له وسرية فولدتا في ليلة واحدة ، فولدت الحرة جارية ، والسرية غلاماً ، فحملت الحرة الغيرة الى ان حولت الابن الى مهدها والبنت الى مهد السرية ، فتحاكمتا اليك ، ما كنت تقضي بينهما فقلت لا علم لي بذلك انا كاتب جند قال : فان رجلين تقدما اليك من اهل عسكر واحد سهمهما واحد· ذا اسمه احمد وذا احمد · هذا مشقوق الشفة العليا وهذا مشقوق الشفة السفلى كيف تُحلّيهما قلت اكتب لهما احمد الاعلم واحمد الاعلم · قال : اذاً يأخذ ذا رزق ذا ، وذا رزق ذا ، فتقع بينهما في حيرة ، فتفكرت ساعة فما يتجه لي فيه شيء · فقلت : لا علم لي بذلك انا كاتب شرطة [3] قال : فان رجلان تقدما اليك احدهما قد شج موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومةً ، كم تجعل بينهما من الابل قلت : لا ادري فقال : فلست كاتب شرطة ، فقلت ففسّر لي ما قلت قال حباً وكرامة · اما الرجل الذي تزوجت امه ، فالوجه ان تكتب اليه ان الاقدار تجري بغير محاب المخلوقين ، ولموتٌ في عافية خيرٌ من شائبة في الملك ، والله يختار للعبد فخار الله لك في قبضها اليه فان القبور (اكرم) الا كفاء · واما القراح فتمسح اعوجاجه كم يكون قصبة ، ثم تضرب بعضه في بعض ، فاذا استوى في يدك عقد تعرفه ، رجعت الى المستوي فيه فضربته فيه · واما الحرة والسرية فانه يوزن لبنهما فمن كانت أخف لبناً فالابن [4] لها

(١) لعل صوابه جنفوا على السلطان اي جاروا · (٢) القراح الارض لا ماء فيها ولا شجر وقيل المخلصة للزرع والغرس جمعه اقرحة · (٣) قوله كاتب شرطة في هامش الاصل اي ديوان المظالم والسجن وسمي ديوان المعونة ايضاً كما تقدم ذكره · (٤) كذا في الاصل والظاهر فالبنت لها وهكذا في العقد والامامة والسياسة ·

واما الجند فيكتب احمد الأعلم مشقوق الشفة العليا واحمد الأفلح مشقوق الشفة السفلى ·
واما الشجة ففي المأمومة ثلاث وثلاثون من الإبل وثلث ، وفي الموضحة خمس من الابل فيرد عليه ثمانية وعشرين وثلثاً قلت : الست زعمت انك حائك قال : نعم ولكن أحوك الكلام واذا رجل قد أدبه الزمان ، وأحكمه العلم ·

والمعاني اسعدك الله لُمَع ، والألفاظ مشتركة ، فمن سبق الى معنىً ثم جاء بعده من يتعاطاه ، فان أخذه بلفظه كما هو كان سارقاً ، وان أخذه ببعض لفظه كان ساخاً ، وان اخذه وكساه من عنده كان هو اولى به من الاول ·

و يقال ان ابا عُذرة الكلام من سبك لفظاً على معنى ، لا من اخذ معنىً بلفظ ، وقلما تجد شعر شاعر ، اورسالة كاتب ، اوخطبة خاطب ، الا وجدت فيه معنىً مسبوقاً اليه ولفظاً مشهوراً قبله · وقد قال ابو تمام يصف ذلك :

يقول من يقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر

فمن ذلك ان اسماعيل بن صبيح كتب الى بعض الامراء : في شكر ما تقدم من إحسانك ، شاغل عن استنباط ما تأخر منه · فأخذ هذا المعنى احمد بن يوسف فقال في بعض كتبه : أحق من أثبت لك العُذر في حال شغلك ، من لم يخل ساعة من برك في وقت فراغك · ثم اخذه سعيد بن حميد فقال : لست مستقبلاً لشكر ما مضى من اياديك[1] ، فأستبطي درك ما أؤمل من مزيدك · ثم أخذه حمد بن مهران فقال : لان تعذرت حاجتي قبلك ، لطالما تيسر لي امثالها عندك ، ولست اجمع الى العجز عن شكر ما أمكن ، التسرع الى الاستبطاء فيما تعذر · وسلك الى الطريقة ابو نواس فقال :

لا تحدثنَّ اليَّ عارفة حتى أقوم بشكر ماسلفا

وقول ابي نواس اربى على جميع ماتقدم في اخذ هذا المعنى · وسلك هذا الطريق من جهة أخرى الضرير فقال : وفد اليَّ انك أصبت بشيء من مالك ، لو لم تصب به لأسرعت النوائب اليه ، واتى كرمك عليه ·

وكما انه مطلق لمن لطف في اخذ المعنى فكذلك هو محظور على من لم يكن فيه آلة

(١) خ بلائك ·

الأخذ ان يطور به [١] لان الحاذق والبارع يخفي دبيبه الى الشيء حتى يستخرجه ، والمتخلف البليد يظهر تسوره على الامر اذا أراده ·

اللسان هو ترجمان القلب ، وأداة يدرك بها التأليف ، ويلتمس بها التقطيع ، وبه يظهر ما يجنه الفكر · وقيل في المثل المرء مخبوء تحت لسانه · ويقال : ان روح الحياة اذا كان ظاهراً كان جمالاً ، واذا كان باطناً كان لساناً · وقال علي بن عبيدة : الإلسنة [٢] القلوب يؤدي عن ضمائرها المنطق بالفاظ شرايع [٣] ماتستنبطه من الحكمة واللسان كاشف لما يخفيه الاغماض ·

وفي كتاب الموسيقى ان الانسان حاس ، والعقل لطيف ، وليس لفكرة العاقل غاية يدركها اللسان · ومع هذا فان اللسان ترجمان ، وليس للترجمان ان يبلغ منزلة المترجم · وقيل اللسان عضو فان مرنته مرن · وان تركته حرن · وللسان فضائل معدومة في الجوارح ، ودرجة عالية على درجاتها ، لما خصه الله به من استعماله في المنطق والبيان ·

قال عمرو بن بحر : في اللسان خصال هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يعبر عن الضمير ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وناطق [٤] يفصل الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وواعظ ينهي عن القبيح ، ومعز تبرد به الاحزان ، ومعتذر يذهب بالضغينة ، ومله يونق الاسماع ، وزارع يحرز المودة ، وحاصد يستأصل العداوة ، وشاكر يستوجب المزيد ، ومازح تستحق به الزلفة ، ومؤنس يذهب بالوحشة ومزين يدعو الى الحسنى ·

الصوت هو آلة اللفظ ، والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر ·

الفكر هو مستنبط الحكمة ومستثار الصوت ، ومستوضح غوامض الأدلة ، وكاشف ضباب الغفلة عن الافئدة ·

البيان هو اسم لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك حجب الضمير ، وابدى مكنونه ·

---

(١) يقال انا لا اطور بفلان اي لااحوم حوله ولا ادنو منه · (٢) لعله سقط هنا لفظ «بريد» او «ترجمان» او ماماثلها · (٣) لعلها شرائف او شريفة · (٤) لعل صوابه قاض ·

المعاني هي الحادثة بالذكر ، المتصورة للعقل ، الجائلة في الفكر . وهي بعيدة وحشية ، معدومة في حال ، موجودة في أخرى ؛ ممتدة الى غير غاية ، ومبسوطة الى غير نهاية .

البلاغة هي ان يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك ؛ فتصوره كتصوره عندك ، بالابانة عنه والافصاح به .

وقيل : الفصاحة لمحة دالة . وقال بعضهم : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ودنو المأخذ ، والايجاز في صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة .

وقال آخر : البلاغة ان يعرف الفصل من الوصل [1] . وقال ثمامة بن الاشرس : قلت لجعفر بن يحيى ماالبلاغة فقال : ان تكون تحيط بمعناك . وتحكي عن مغزاك . وتخرجه من الشركة . ولا يستعين السامع عليه بطول الفكرة . ويكون سليماً من التكلف . بريئاً من الصنعة . بعيداً من التقعير . غنياً عن التأويل .

وقال الحجاج لابن القرية : ما الحرف وما الكلمة وما الكلام . فقال : الحرف فرد والكلمة جماعة . والكلام على عشرة أبواب : سبعة فواتح وثلاثة جوامع . فالفواتح جرأة الصدر ، وفقدان الحصر ، واتساق القول وبيان الكلام ، وقلة التنحنح ، والقول متى شاء ، والوقوف اذا شاء . والجوامع ان يشبه اول قوله آخره ، ويختار حسن اللفظ و يعرف قصة (؟) الكمية . وقال معوية : البلاغة كلام يتحدر على الطبع كما يتحدر الماء على الكبد الحرّى . لا يحمل الطبع فيه على غير مذهبه . فيظهر فيه نقيصة التكلف وعيب التخلق . وقال قائل : عيوب المنطق صنفان صنف مذموم وصنف خلقية [2] لا سبيل الى الانتقال عنها . والمذمومات توجب الذم اذا كان الاقلاع عنها الى غيرها ممكناً . والخلقية كاللثغة واللفلفة [3] والرتة والحبسة والحكلة والفأفأة والجلجلة والتمتمة .

---

(١) وفي هامش الاصل وقال ابو تمام : حد البلاغة معرفة مواقع الفصل والوصل .

(٢) اي من قبيل العيوب الخلقية . (٣) اللفلفة العيّ و(الرتة) بالضم والتشديد ردّة قبيحة في اللسان وقيل هي العجمة في الكلام كالحكلة . والفأفأة هي صفة الفأفاء وهو الذي لا يقدر على إخراج الكلمة من لسانه الا بجهد يبتدئ في اول إخراجه بشبه الفاء ثم يؤدي بعد بالجهد حروف الكلمة على الصحة هكذا فسرها المطرزي .

ومن فساد المنطق فساد مخارج الصوت مثل اللجة وعدم اعتدال المخارج من الحلق والخياشيم والصدر فاللثغة تكون في الراء تنقلب الى الغين اوالياء اوالدال واللفلفة ان ان لا يخرج الكلام الا بشق الأنفس والرتة والحبسة واحد والحكلة كاللجة حتى كأنه يسرّ كلامه والفأفأة التردد في الفاء والتمتمة التردد في التاء .

وقال عمرو بن بحر : من عيوب المنطق التصحيف وسوء التأويل والخطأ في الترجمة فالتصحيف يكون من وجوه : احدها من التخفيف والتثقيل ، ومن قبل الإعراب ومن تشابه صور الحروف . وسوء التأويل يكون من الاسماء المتواطئة وهو انك تجد اسماً بمعان فتأوّل بغير المراد ، وكذلك سوء الترجمة . غير ان الكلام المحتمل على المعاني يكون بالفارسية المنقولة الى غيرها . وقال العتابي : الاستعانة من فساد الكلام . فسئل عن التأويل فقال : اذا قال عند مقطع قوله ياهناة ، واسمع مني ، وافهم عني ، وما أشبه ذلك كله عيّ [١] .

ومن لم صناعة الشعر للاردستاني [٢] وهو محمد بن احمد قال : وكانت العرب انما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وصحة المبنى ، فتسلم النسق فيه لمن وصف فأصاب وألطف ، وشبّه فسدّد ، ولمن كثرت له سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، ولم يكن يهتم بتتبع البديع اذا حصل له عمود الشعر ، ونظام القريض ، على انه قد كان منهم من يتعمد لتنقيح شعره ، ويتعمل لتحسين ألفاظه وتشذيبها ، وترصين مبانيه ومعانيه وتهذيبها ، مثل زهير والاعشى والحطيئة وابي صخر الهذلي وعدي بن

(١) في الهامش هذه العبارة : وقيل فتل الأصابع والنكت على الارض هو ايضاً من العيّ . (٢) هوغير كتاب معاني الشعر للاشناندانى وفي دار الكتب العربية بدمشق نسخة مخطوطة من هذا الكتاب وقد أورد صاحب كشف الظنون اسم كتابين باسم « صناعة الشعر » احدهما للحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالع المتوفي بعد ثمانين وثلاثمائة والآخر لابي سعيد حسن بن عبد الله السيرافي النحوي المتوفى سنة ٣٦٨ . وقد طبع كتاب الاشناندانى مؤخراً في دمشق (١٣٤٠) والاردستاني نسبة لاردستان مدينة بين قاشان واصبهان في فارس .

الرقاع وابي المثلم والخنساء وغيرهم · فان اثر الصنعة ظاهر في اشعار هذه الطبقة ، ودالٌ على مقاصدهم فيها ، وشاهد بمعرفتهم بها ، ويدل على ذلك افتخارهم في اشعارهم بالتجويد · ووصفهم لمصابرة القول ومكابدة السبر فيه والتخير منه · والصبر على عرضه وعمله حولاً · حتى قالوا : خير الشعر الحوليّ المنقح · يروى ذلك عن الحطيئة فقالوا : حوليّات زهير · وقد ذكرت الشعراء ذلك في مفاخرهم فقال سويد بن كراع يذكر تقويمه شعره وطول مصابرته له :

ابيت بابواب القوافي كأنما اصادي[1] بها سرباً من الوحش نزعا
أكالبها[2] حتي اعرّس بعدما يكون سحيراً او بعيداً فأهجعا
اذا خفت ان تروى عليّ رددتها وراء التراقي خشية ان تطلّعا

فاخبر ان القوافي تعتاص عليه وانه يكالبها ويكابدها ويسهر لها الى ان تنقاد له · وقال حارثة بن بدر :

قبح الاله الالف الا ماقضى والشعر بعد مرقش ومهلهل
وابي دؤاد او عبيد كلما نطقوا اصابوا فيه فص المفصل

فمدحهم بالاصابة والتجويد · وقال عديّ بن الرقاع :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

فأخبر انه يعاود النظر ويكرره حتى يثقفه · وقال عمرو[3] بن هند :

فان اهلك فقد ابقيت بعدي قوافيَ تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا

(للبحث صلة)

---

(١) صاداه عارضه يقال (من صاداك فقد صادك) · (٢) كالبه ضايقه مضايقة الكلاب بعضها بعضاً عند المهارشة · (٣) في الاصل (عمرو بن) فجاء بعض النساخ وزاد كلمة (هند) ·

كتابات تدمرية وتفسيرها

يوجد في دار الآثار العربية بدمشق مجموعة نفيسة من العاديات التدمرية ، معظمها تماثيل قبورية وعلى اكثرها كتابة موجزة باحرف تدمرية ، تشير الى اسم المتوفى ونسبه وفي بعض الاحيان الى تاريخ وفاته ، شأن معظم الكتابات القبرية المكتشفة في اطلال تدمر • وهذه التماثيل هي غاية في الإتقان ، ولها فائدة أثرية ولكتابتها شأن خصوصاً في علم الخطوط وتطوراتها •

سأنشر رُقُم (١) هذه التماثيل تباعاً في مجلة المجمع العلمي العربي مع صورها وتفسير كتاباتها ليتسنى للذين يهمهم هذا البحث الاطلاع على هذه المجموعة ، واذ كان بعض هذه التماثيل قد ملكه قبلنا أناس آخرون فنحن بالطبع لا ندري اذا كان سبق لغيرنا وكتب شيئاً عن الكتابات التي عليها لعدم وجود المراجع الكافية لدي اللهم الا القليل منها الذي نشره علماء الآثار ومنهم من أخطأ بقراءة بعض الاسماء لعدم حصولهم على النسخة الاصلية ، او لغلط في النقل ، او لعدم وضوح الرقيم • ولذا سأعيد نشرها مع الاشارة الى ذلك •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الكتابة الاولى »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١) كتب على يسارها العبارة الآتية :

١ הדירת هديرة (بنت)
٢ אחא ברת اخا ، بنت
٣ בוכהא بوخا ،
٤ בר ברעא بن برعا ،
٥ בר זבדעתה بن زبدعته
٦ חבל واأسفاه !
٧ בירח بشهر

(١) الرُقُم جمع رقيم وأصبح يراد به كل كتابة أثرية محفورة او منقوشة على صخر (Inscriptions) •

٨	ניסן	نيسان
٩	שנת	سنه
١٠ } ١١	٤٨٠	٤٨٠

من السهل قراءة هذه الكتابة لانها واضحة جلية ، وان كان قسم منها غير ظاهر في الرسم ولكنه محقق في الاصل · وجميع اعلامها معروفة وشائعة الاستعمال في الكتابات التدمرية وليس فيها لفظ غريب ·

س (١) הדירה (هديرة) علم مؤنث اتى ذكره في بعض كتابات ضريح (إِلَه بل) المعروف اليوم بقصر العروس في تدمر (Chabot. Choix d' Inscriptions palmyreniennes) وقد أغفل النحات كلمة (بنت) بعد هذا العلم حسما أشرنا واحياناً يستغنى عن هذه اللفظة في مثل هذه الكتابات وتذكر الانساب بدونها ·

س (٢) אחא (اخا) علم مؤنث معروف Chabot - Notes d' Epigraphie et d' Archéologie orientale No 16)

س (٣،٤،٥) בירחא (بوخا) و ברעא (برعا) و זבדעתה (زبدعته) جميعها أعلام مذكرة وقد جاء ذكر الثاني منها في بعض الكتابات التي نشرت في (Melanges de la Faculté Orientale pp.170 et 171.— Revue bibliques 1897 P. 594)

والثالث نشر في (Chabot-Choix d' Inscrip. palmyr. p. 66)

واما كلمة السطر السادس חבל (خبل) فقلما تخلو منها كتابة قبرية تدمرية وهي لفظة تفيد التحسر على الفقيد وتعريبها (وأسفاه) !

ومما يزيد في شأن هذه الكتابة انها مؤرخة بما يفيد وقت الوفاة وهو شهر نيسان سنة ٤٨٠ سلوقية [1] الموافقة لسنة ١٦٩ ميلادية ·

(١) يبتدي التاريخ السلوقي في ١ تشرين الاول سنة ٣١٢ قبل الميلاد ·

وقد نشر هذه الكتابة كل من الاساتذة : مولر (Müller No 15) وشابو (Chabot No 50) وجوسن (Jaussen N°5) عن صور غير واضحة او نسخ مغلوطة . فأخطأ الاول بقراءة السطر الثاني فقرأ בר (ابن) عوضاً عن ברת (بنت) وعلى الرغم من كون تاء التأنيث واضحة في الكتابة فان العَلَم الذي قبلها مؤنث ولذا يجب ان تكون هذه اللفظة مؤنثة ايضاً . وقرأ ايضاً السطر الرابع ברען (برعن) ولكنه استدرك خطأ الناسخ واقترح تصحيحه (برعا) كما ترجمته آنفاً وقراءة بقية الاساتذة متفقة مع ما أثبتناه .

« الكتابة الثانية »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٢) وعلى يساره قد كتب هذه العبارة :

١ חירן בר رِخيرَن ، بن
٢ מרדא مردا
٣ בר ידי بن ، يَدَّي ،
٤ חבל وأسفاه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

س (١) חירן (خيرن) علم مذكر شائع بين الأعلام التدمرية .

س (٢) מרדא (مردا) جاء في الكتاب المقدس علم يقاربه وهو מרד (مرَدَ) (١ اي ٤ : ١٧ و١٨) .

س (٣) ידי (يَدَّي) علم تدمري معروف معناه المحبوب ويقابله من الأعلام التي جاءت في الكتاب المقدس ידו (يدو) .

س (٤) ولفظة السطر الاخير هي كلمة (رِخبَل) المعروفة كما بينتها اولاً .

« الكتابة الثالثة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٣) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ מלכו בר ملكو بن
٢ ידי בר يَدَّي بن
٣ פתיחב فتيحب
٤ חבל وأسفاه

س (١و٢) מלכו (ملكو) و ידי (بَدّي) علمان شاع استعمالها في تلك العصور، وقد جاء ذكر الاول في (Chabot Choix d' Inscrip. palmyr. p. 120) والثاني في الكتابة التي قبل هذه · واما العلم الثالث فبالرغم من ان قراءته لا تدع مجالاً للشك بصحتها لوضوح حروفها · فانه لم يسبق العثور على هذا العلم، ولعله جديد بين الأعلام التدمرية · وقد نشر هذه الكتابة الاساتذة : جوسن (Jaussen) ومولر (Müller) فأشكل عليهما قراءة العلم الثالث فقرأوه פתיחזב (فتيخزب) والأصح ما ذكرنا لانه لا أثر للحرف (٦) في الأصل · وختمت هذه الكتابة بكلمة (حَبَل) المعهودة ·

« الكتابة الرابعة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٤) والكتابة على جهة اليمين هكذا :

١ חבל واأسفاه !

٢ חירן حيرن ، (بن)

٣ מרדא مردا

قد سبق في الكتابة الثالثة ذكر العلمين المذكورين في هذه الكتابة · وهذه الكتابة تختلف عما سبقها بشكل حروفها وخصوصاً (٦) وقد سطرت عمودياً وأهمل النحات كلمة (ابن) ولذلك اشكل عليّ معرفة اي منهما ابن للآخر · وكلمة (حَبَل) لا تفيدنا شيئاً هنا لان هذه اللفظة تفتتح الرُقُم القبرية بها او تختتم او يجمع بينهما ·

(للكلام صلة) مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسني

عثرات الاقلام

ومن عثراتها قولهم (لا نريد ان نثور عليكم في هذه المسألة) صوابه (نثير) من أثار ولم يرد ثار عليه ثلاثياً بهذا المعنى ·

ومنها قولهم (فكشفت عنه ما كان يجوش في خاطري) صوابه (يجيش) من جاش جيشاناً وهو لم يرد بهذا المعنى الا يائياً ·

ومنها قولهم (سافر الى باريز وعهد الى فلان زمام الأعمال) صوابه عهد اليه في زمام الاعمال على ان كلمة (الزمام) لاتناسب هنا فالأصح حذفها ويقال (عهد اليه في اعماله) او يقال (سلمه زمام اعماله) او (ألقى اليه بزمام أعماله) ·

ومنها قولهم (اولاده يتناغون جوعاً) لا يوجد تناغى بهذا المعنى وانما هو (يتضاغون) جوعاً او (يتضورون) جوعاً

ومنها قولهم (وله خط دقيق الحرف بالكاد لا تقرؤه) · وبعضهم يقول (بالكاد تقرؤه) من دون حرف النفي · وكلاهما خطأ : اذ المراد من الجملة ان قراءة الخط صعبة لا تسهل قراءتها على الانسان الا بعد تعب وجهد · فاذا كان معنى (كاد) القرب كان فعلاً ماضياً ولا يصح ادخال لام التعريف عليه · وان كان معناها التعب والالحاح وجب ان يقال : (بالكدّ) بتشديد الدال كما يقولون أحياناً · ومهما يكن فان الجملة غير صحيحة التركيب والصواب ان يقال مكانها (خطه دقيق لايكاد يقرأ). او (لا تكاد تقرؤه) او (لا يتبينه الطرف) او (قلما تتيسر قراءته) او (لا يقرؤ بسهولة) او (يقرأ بالكد والتعب) اوغير ذلك ·

المجمع العلمي العربي

« يوم ٤ شباط ١٩٢٧ و٢ شعبان ١٣٤٥ »

غصت ردهة المحاضرات في المجمع العلمي العربي في هذا اليوم لسماع محاضرة رئيسه وموضوعها « ابو حيان التوحيدي وفلسفته وتصوفه وعلمه والجمعيات العلمية السرية والجهرية والمجامع والمجالس الادبية في القرن الرابع » . وقد حضر المحاضرة سعادة المسيو بيراليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية وحكومة جبل الدروز ومعه معاونه المسيو فيبر وكان الترجمان يترجم لسعادة المندوب كل جملة يلقيها المحاضر . وبعد ذلك عقد المجمع جلسته فحضرها المندوب المشار اليه وغبطة العلامة السيد غريغوريوس حداد بطريرك طائفة الروم الارثوذكس وغيرهم من الفضلاء . فبدأت الجلسة ونعى الرئيس للاعضاء عضو المجمع العلمي العربي في باريز العلامة المرحوم كيمان هوار واقترح ايقاف الجلسة خمس دقائق اكراماً لخدمته وايفاء لحقوق الزمالة ثم تلا امين السر محضر الجلسة الماضية وعدد الرئيس ما ورد على المجمع منذ الجلسة الماضية من الكتب المهمة فكان خمسة وسبعين مجلداً وأشار الى الاثر النفيس الذي عثر عليه في دمشق من القرن الخامس وما في وضعه في دار الآثار من الشأن العظيم للتاريخ وعلم العاديات الاسلامية . وجرى البحث بعدئذ في عيد دار الكتب الخمسيني الذي سيرأسه العلامة الاستاذ سليم افندي البخاري احد مؤسسي تلك الدار تحت رعاية سمو رئيس الدولة وان المعارف ستتنازل عن جميع المدرسة الظاهرية الى المجمع العلمي فيخصها بدار الكتب . ثم تلا الرئيس اقتراحاً وارداً من الاستاذ الاب بطرس البستاني من علماء العربية في لبنان يرمي الى توسيع اعمال المجمع العلمي في البلاد العربية . فاقترح بعضهم ارجاء البحث في هذا الموضوع الى الجلسة القادمة . وتذاكروا في موضوع محاضرة تلقى في العربية والافرنسية في الدين الاسلامي من حيث الاجتماع على نزلاء دمشق من الاوربيين فلم يبت في ذلك رأي . ثم تفاوض المجمع في ان يقترح على الحكومة وضع رسم على الداخلين الى دار الآثار على ان يجعل الدخول يوم الجمعة من كل اسبوع مجاناً لمن أراد . وان يكون الرسم خفيفاً يؤدي بدءاً لا يتجاوز عشرة قروش سورية

ينقفها المتحف في تنظيم اموره . وبعد ذلك تناقش الاعضاء في عثرات الاقلام وانفضت الجلسة . وكان الرئيس يترجم لسعادة المندوب الممتاز المشار اليه كل دقيق وجليل يدور في الجلسة فسرّ حضرته مروراً زائداً ، وقال للرئيس عضوا على مجمعكم بالنواجذ وحافظوا عليه بكل ما اوتيتم من قوة ومتانة وعلم ، فانه عمل نافع جداً للبلاد كما قلت لكم ولا أزال أقول . ولا عجب فسعادة المندوب من الافراد الذين عرفوا بسعة فضلهم وله مصنفات علمية واعمال ادبية مجيدة واكثرها مطبوع ، ومثله من يقدر الاعمال العلمية قدرها .

مخطوطات مكتبة جامعة برنستون

جاء من الاستاذ العلامة السيد فيليب حتي احد اساتذة جامعة برنستون كتاب ختمه بقوله : (هل ذكرت لكم ان في جامعة برنستون الفين وخمسمائة مخطوط عربية فهي أعظم مكتبة عربية في العالم الجديد . وسيكون نصيبي في الحياة احياء هذه المكتبة بالطبع والنشر والترجمة فضلاً عن تدريس الطلبة فلا تحسبوا اننا هنا فقدنا رغبتنا في الاسلام والعرب والعربية وتنكبيها) .

فحيا الله الاستاذ وسائر اخواننا العرب في العالم الجديد الذين ما زالوا يثبتون عربيتهم وتعلقهم بوطنهم العربي مع التجرد عن الصبغة الطائفية اثباتاً يشكرون عليه ويجب ان يحتذى مثالهم فيه .

مطبوعات حديثة

مفكرات في العهد الحميدي

مهما موّه الراضون عن عهد عبد الحميد وسكتوا عن نقائصه فانّ تفنن الرجل بالمحافظة على حياته ثابت لا يحتاج الى برهان ، وله في ذلك بعض العذر لانه رأى ملكين قبله قد خلعا ، وكاد السلطان يترك مهام السلطنة ليتتبع ليل نهار جواسيسه وعيونه ، ينفق في ذلك أموالاً لو صرفت في المشاريع النافعة مدة ٣٤ سنة لأتت بموارد تغني السلطنة لا محالة ولصان ذلك الملك العظيم من التمزق بادخال الدساتير النيابية الحرة . وقد أشبه عهد عبد الحميد بدور الفتور ، فان الدولة بعد ان غاث مراجلها مدة ستة قرون انتهت ايامها الاستبدادية بآخر زي من أزياء الاستبداد وهو العهد الحميدي فأدخل فيها آخر طراز من الفساد ونعني به فساد الاخلاق ، وهو من أعظم ما يقضي على الدول والأمم فيلسفها نسفاً .

اكتب هذا وانا أتلو كتاباً صدر حديثاً باللغة الافرنسية كتبه رجل عاقل غريب عن العثمانية ، مطلع على عجرها وبجرها ، ولعل هذا السفر أصح مصدر يصح الاستشهاد به على فساد دور عبد الحميد . واسم المؤلف (لويز رامبر [1]) واسم مؤلفه «مفكرات وتأثرات عن تركيا» او الدولة العثمانية على عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٥ طبع في جنيف من بلاد سويسرا . وكاتب هذه المفكرات هو سويسري الاصل خالي الغرض في الجملة ، ولو كان من أبناء دولة كبرى لاتهم بان له ضلعاً معها و يحاول النيل من العثمانيين وناشر هذه المفكرات الآن هو ابن كاتبها (١٨٣٩ — ١٩١٩) نشرها بعدان طُوي ذلك البساط بما عليه جملة . نشرها للتاريخ ، وأعظم بنشرها من خدمة .

المؤلف من اهل الطبقة العليا في اهل سويسرا حقوقي اداري مالي أديب متفنن ،

---

(١) هكذا اسم الكتاب بالافرنجية :

Louis Rambert : Notes et Impressions de Turquie L'empire Ottoman sous Abdul-Hamid II 1895 1905

أنشأ في صباه جريدة يومية وناب عن أمته في مجلسها العالي ، وكان محامياً مشهوراً وله يد طولى في فتح نفق سان غوتار المشهور بين ايطاليا وسويسرا ، وطلب اول مرة الى الشرق ندبه لذلك نوبار باشا وزير مصر في عهد الخديوي اسماعيل في جملة من اختار من رجال الغرب لخدمة مصر فوصلها ، وكان اسماعيل قد خُلع فرجع من حيث أتى . وبعد مدة ندبته شركة افرنسية لانشاء سكك حديدية في السلطنة العثمانية ، ثم تولى أعمالاً كبرى وأهمها نظارة إدارة حصر الدخان في الاستانة فأبان في حياته علواً في الفكر وخبرة بحياة الناس وحياة الأعمال ، ومعرفة بمعاناة المسائل الكبرى حتى صار لا يلامس منها الا الامور العملية ، وينظر فيها فيعرف المدخل والمخرج من اول وهلة وقد استبطن أسرار السياسة والمالية فكان إداريًا مدهشًا كما قال فيه واصفوه .

أطلت في تعريف الرجل لان للتعريف به دخلاً كبيراً في تسهيل الاعتقاد بصحة احكامه على تلك السلطنة الكبرى وعلى ذاك الرجل الذي سقطت على يده وبيده . ومما يزيد في الثقة بما رواه المؤلف انه كان قريباً جداً من مصادر الحوادث التي وقعت في دار الملك العثماني وكانت له صداقات وثيقة مع اكبر وزراء السلطنة وولاتها وعمالها وهو على اتصال مع الطبقة السامية من الاجانب فيها ومنهم السفراء ورجال السياسة والاعمال ، فكلامه اذاً كلام الخبير الصادق لا تقرأ فيه شيئاً من الغرض بل تتبين فيه التحقيق ومعرفة تامة بالحياة وبحثاً وتدقيقاً قل ان تراه لغربي كتب على الشرق وكيف ذلك وليس لجميع من كتبوا مثل ادواته حتى نصح احكامهم وتجودتا ليفهم .

دخل المؤلف الاستانة قبيل العهد الذي نشبت فيه الثورة الأرمنية ، التي هلك فيها الوف من الأرمن في الاناضول والاستانة اي في سنة ١٨٩٥ وظل يكتب مفكراته حتى هلك سنة ١٩١٩ . وقد قال ابنه في هذه الحوادث الارمنية في مقدمة الكتاب ما تعريبه : « ينظر عادة الى مذابح الارمن في الغرب بانها نتيجة التعصب الاسلامي ، على حين ان السبب الاصلي هو سياسي (Opportuniste) اكثر مما هو ديني . والظاهر ان قليلاً من الأديان كانت من التسامح على مثال الدين المحمدي ، وأحسن دليل يورد في هذا الشأن كثرة عديد الارمن واليهود والروم وغيرهم ممن كانوا يعيشون مع الاتراك على صفاء في الجملة الى عهد الحرب العالمية . وكثير منهم شغلوا اسمى المراكز

في حكومة السلطنة وإدارتها » الى ان قال وهو عين الانصاف : وكان الداعي في تدبير المذابح الارمنية يد عبد الحميد وحاشيته سياسياً صرفاً لانهم حاولوا ان يقيموا لهم ملكاً بين السلطنة العثمانية وبلاد روسيا تكون عاصمته ارضروم ٠

هذه المفكرات قطع تختلف بطولها من بضعة اسطر الى بضع صفحات بحسب الموضوع ويؤرخها مؤلفها باليوم والشهر اللذين كتبت فيهما بعبارة عاليــة تتجلى فيها روح المالي والاداري والفنان والاجتماعي، بعيدة كل البعد عن البذاء والمراء وفيها احياناً الاحماض اللطيف والتهكم بادب قل ان عهد الا في كتابات الشعوب التي بلغت أقصى درجات الحضارة تزينها حسن الاخلاق وجمال الثقافة ٠ وكثيراً ما دوّن صاحب المفكرات اشياء ربما لا تفيد كل الناس وهي قليلة جداً ولكن نفسه كانت تهتم لها كتفاصيل بعض الحوادث ومنها ما له علاقة ببيته وعمله الخاص ومنها تنبهم كيف يعيش ارباب الاعمال من الغربيين في الشرق ٠

تكلم في مفكراته (٣٠ تموز ١٨٩٦) على المشاريع التي قام بها الافرنسيون في بلاد الشام فقال في خاتمتها بعد وصفه مشاريع السكك الحديدية « يرجع اخفاق المشاريع في الشام الى الطريقة التي يدرك بها ارباب الاموال من الفرنسيس الاشغال الشرقية ٠ فان هذه الاعمال كلها قليلة الربع قليلة النجاح في السنين الاولى ٠ فالواجب اذاً ان يراعى في عملها الاقتصاد ما امكن برأس مال قليل وانتظار ارباح العمل حتى يتدرج الى النجـاح ٠ بيد ان الجماعات من الافرنسيين يعملون عكس ذلك فانهم يعينون رأس المال سلفاً على أساس الواردات الموهومة ويتقاسمون الارباح المقدرة بصورة زيادة في أسعار البناء او في قيم السهام التي تصدر الى ساحة التداول ، وقد أسرفوا في إنفاق المال على هذه الأعمال في الشام إسرافاً فاضحاً وتناول القائمون بالعمل مبالغ طائلة لانفسهم في قالب حصص (Apports) الى الشركات ٠ فرأس المال الذي طلب هو أعظم كثيراً مما يقتضيه المشروع ولم يكد البناء يتم حتى زهقت روح الشركة ٠ التجربة ثابتة كما هي ضارة ، لا جرم انه لن يستفيد احد من هذه العظة » ٠

وجاء في مفكرته يوم ٥ نيسان سنة ١٩٠٠ « ان فقراء الفلاحين الذين يزاد في أعشارهم الى الحد الذي لا يطاق ، لا يجدون من يدافع عنهم ، ويتحملون الظلم الذي

يقع عليهم صابرين ، الا ان إرهاق الفلاح وهو المقضي عليه باداء كل ضريبة وسخرة بدون رحمة قد نشأ منه الآن الداء المعضل وهو خلو القرى من سكانها . و يقال على الجملة انه ستزيد الحركة وتفنى معها المادة التي يمكن ان تؤخذ منها الضرائب . تصبح تركيا اليوم بعد اليوم مملكة تحت التصفية ، ولا نزال نذكر انها أضاعت ولاياتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى بفعل المعاهدات الاوربية والحملات المشؤومة ، فقد فقدت كريت مؤخراً عقيب حرب ظافرة . وفي ذلك طريقة التصفية مباشرة وإضاعة البلاد او التخلي عنها بدون حاجة . ويمكن الوصول الى نفس هذه النتيجة من طريق غير مباشر وذلك بالتضييق على سكان الولاية في معايشهم وبجعل البلاد المنتجة قفراً . فان آسيا الصغرى تنصفى بالطريقة الثانية على حين ان املاك تركيا في اوربا تتقطع إرباً إرباً .

أصبح القسم الشرقي من المملكة في آسيا أشبه شيء بالقفار فان مذابح الارمن وهجرتهم الى ولايات الشمال وتخريب الكتائب الحميدية والقبائل الرحالة في الجنوب في واديي دجلة والفرات ، كل هذا قد أحدث في بضع سنين تأثيرات عظيمة . ندب مدير اعمال ادارتنا (كاب) آخراً للتجوال في هذه الأصقاع ودرس مشروع سكة حديد بغداد فقص علينا انه بحث كثيراً عن القرى التي ذكرت بعثة يونس انها موجودة على طول الطريق . وهذه البعثة قامت بمثل هذا الغرض منذ ست او سبع سنين . وكانت القرى القائمة إذ ذاك تعد بالمئات نخربت وعفيت آثارها كأنها لم تكن بالامس عامرة . اما بقية بلاد آسيا الصغرى فهي موقوفة ابداً على التدرج في زيادة الاعشار بحيث تصبح الزراعة متعذرة وتزيد رداءة الحال الى ما يدعو الى انفضاض السكان من القرى . ثم تكلم على المهاجرين من الاقطار الاخرى الى بلاد السلطنة اذ ذاك وقال ان هذا مرض مزمن خاص بدور التصفية الذي نجتازه الخ .

وقال في كلامه على نفي السلطان لبعض الاعيان : وصعب ان يدرك المرء كيف يصرف السلطان جهده في مراقبة جميع دسائس الشرطة ، خصوصاً اذا نظر ان فكره المريض من قلة الثقة يهتم لا بالاخطار الموهومة التي يرى نفسه محاطاً بها في عاصمته ، بل بجميع الاعمال المشتبه بها التي تحدث في أرجاء سلطنته وهذا مما لا يكاد يصدق . في حلب والٍ اسمه رائف باشا كان ناظراً للاشغال العامة وهو رجل

معروف · ذكر لنا ابنه امس ان اباه أراد ان يزور احدى مدن ولايته فأرسل الفرسان في أثره وعادوا به الى حاضرة الولاية كأنه مجرم ، وذلك لان القائد العسكري في الولاية أبرق الى السلطان ان رائفاً هرب فصدر اليه الامر في الحال ان يقبض عليه ·

وقال في وصف القدس ان الناظر الذي يرى الاشياء بالعين المجردة يرى القدس اليوم (في عهده) أثراً من آثار تفوق الاسلام ويرى المسلمين في حالها دليلاً ظاهراً على تفوق دينهم ، وليس ذلك الا وهم من أوهام النظر فان الاحوال السياسية وان قضت على الحكومة العثمانية بالتسامح الواسع ، قد اضطرتها الى تنظيم ادارة سيادتها وحكمها على الارض المقدسة عند اليهود والنصارى ، وهؤلاء تُركوا وشأنهم ولم ينظمهم نظام عام فأفرطوا في أهوائهم الشخصية والمذهبية · فان السلطة التي تنفذ بحذق واعتدال وما هناك من انانية ومطامع لا نهاية لها قد أحدثت تناقضاً مذلاً تتأذى به أبصارنا !

وقال في دمشق : لا يأسف الانسان في مكان بقدر ما يعروه من الأسف عندما يرى هذه البقعة الجميلة من الارض سيئت الى بلادة الادارة العثمانية وطمعها ·

وصف (١٣٣) عبد الحميد وعهده فقال : حقيقة من الغرائب ما يُرى من السلطة النافذة بالخوف والإرهاب في هذه البلاد التعسة · فان السلطان محكوم عليه بالارهاب وجميع أعماله منبعثة من الخوف · وقد عهد الى جماعات من الجواسيس ان يحموه من الأخطار الموهومة التي يعتقد انه محاط بها · ولما كان هؤلاء الجواسيس يستفيدون بذلك فليس لهم من همّ الا ان يدوم لهم سلطان الوهم يمدونه ويهيجونه بما عندهم من القوى · وان كبار رجال الدولة والوزراء والحجاب والقواد ليعيشون بالخوف وهم يعتقدون ان خوفهم ليس عن وهم صرف لان للسلطان مطلق التصرف في استعمال مايخطر له من نفي من أراد ونكبته والحكم عليه بالموت او بالحياة · فان دسيسة مدبرة بحذق او خيانة في عمل سري ووشاية جاسوس مقدّم يتأتى منها لكل واحد منهم ان يجني أفظع النتائج · وعندئذ فلا تراهم الا مراقبين بعضهم على بعض و يسترقون أخبار الجار لانهم يحاذرونه ويعدون السلاح ليستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم او يهجموا اذا قضت الحال ، و يحاولون ان يتعرفوا ماتدور عليه أعماله وأسراره الخاصة · وما من عمل سافل ولا من خيانة يتردد احد في إتيانها اذا كان فيها رضا السلطان او إسقاط من نال حظوته ·

وكل هذا أحدث تبلبلاً ووشايات وقصصاً مستحيلة تسير بين الناس وتتصادم وتتعارض وتتساقط وكان منها الصالح للاكاذيب والعداوات والدسائس والدناءات يرفرف عليها كلها سلطان الفزع والإرهاب الخ .

وقال (١٦٢) ان النظر الى مجموع هـذه المملكة غريب جداً فان فكر الانتقاض والعصيان ومحاربة الشقاء والثورة على البؤس ماتتولد منه فظائع اجتماعية مثل الفوضوية والعدمية وقتل الملوك والحكام اما هنا فالامر على عكس ذلك فان الناس كلهم يحنون رؤوسهم والملك يعمل ما شاء في تدبير الدسائس على رعاياه ليسلبهم أموالهم و يحيط به خدامه و يسلم البلاد اليهم يسلبون الامة ويمتصون دماءها . واذا نشأ بالمصادفة رجل ذو إرادة في وزارته يكون عرضة لكل مراقبة ولا يلبث ان يغيب مبعداً او سجيناً او منفياً او يصيبه غير ذلك . فالفوضى في كل مكان والأشرار يعيثون في كل صقع فساداً وهم مدججون بالسلاح والناس الساكنون يؤذون أنواع الأذى وليس هناك من حماية ولا شرطة ولا إدارة بل ان السلطان الاكبر للسلطان الذي يدير هذه العدمية و ينفذها . والوظائف في الولايات لاتعطى بحسب الاستحقاق وقد يحسنون على رجال عظام بوظائف في الولايات إرادة إبعادهم عن الاستانة ولذلك تجد في الولايات مثل دمشق وطرابزون وقسطموني رجالاً عظاماً ...

وقال يصف تأخر المملكة العثمانية وتفسخها بعد ان عاد من اوربا وقال ان رجعته الى الاستانة وتغيير عظيم وراحة للفكر والجسم فان المرء بتنقله هذا بين الاستانة واوربا لا يتنقل فقط في المسافات بل يتنقل في الاوقات والادوار . فان ثلاثة قرون تفصل بين أتراك اليوم وطريقتهم في فهم الاشياء وصلاتهم الاجتماعية وحياتهم العامة ، وبين ارتقاء اوربا الغربية وفضلاً عن هذا التباين المحسوس فان تركيا تهوي قليلاً قليلاً الى درجة سوأى من الانحلال والاستسلام على حين تسير اوربا بخطى واسعة وتنتفع بالاختراعات الحديثة وتغتني أدبياً ومادياً . وذكر بعد صفحات وقد عرضت عليه الدولة أن تبتاع سهام إدارة حصر الدخان قوله : حقاً ان هؤلاء القوم عجائب بسذاجتهم فانهم كبوا في نقض البنيان الموجود وإلقاء العثرات في سبيل عمل يسير وهذا لايوازيه الا عدم كفايتهم لايجاد شيء ثابت دائم مها كان نوعه .

وقال في وصف الأروام : اننا نعيش في الاستانة الى جنب الأروام كثيراً وهم ثرثارون مثل اهل مرسيليا مفرطون في كلامهم يتكلمون باصوات عالية و باشارات عظيمة ، وكل ذلك ليعبروا عن امور تافهة او لا أصل لها · فهم مهذارون الى التي ليس بعدها و يفيضون اليك و يسرون في أذنيك بأكاذيب هائلة يعتقدونها كل الاعتقاد · لا جرم انهم أناس عاديون غير متماسكين ، رأينا فيهم ما عرفناه عن الروم القدماء ، وكنا نذهب الى ان ما أُثِرَ عن قدماء يونان من الاعمال والانتصارات والمجد هو من صلفهم وصلف الجنوب ومبالغاتهم ومبالغات مؤرخيهم وشعرائهم قياساً مع أروام اليوم ، لولا ان في زيارة المصانع القديمة في يونان وذكريات العصر اليوناني العظيم مما يزيل هذا الظن ، فان البراهين على الثقافة العالية والاقتدار والإلهام العالي محسوس لا نزاع فيه ·

وقال (ص ٢١١) : زارني هذا الصباح عظيم من عظماء القصر فنعيت اليه قدري بك (والي طربزون وكان إدارياً حكيماً) فضرب بيديه سروراً وصرخ صرخة الفرح ، واذ قد رآني صامتاً دهشاً قال لي : وهذا وال سينصب له خلف ، والغنم لنا في ذلك لان خلفه يجب عليه ان يؤدي على الأقل من ثلاثة الى اربعة آلاف ليرة الى صندوقنا المشترك · ولقد هممت ان أدفعه الى أسفل السلم لكلامه هذا واكتفيت بان قلت له بلهجة استغربها : ان الفضل يرجع الى قدري بك بحماية بلاده من ان تكون طربزون مكدونية ثانية على الحدود الروسية ، وان التفكر في إتمام السياسة التي سار عليها قدري بك أهمّ من تسرب بضعة آلاف ليرة الى صندوق كصندوقهم ·

وذكر بداعي وصف احدى الجرائد السويسرية لحال مقاطعته في الأزمان الغابرة ان تبدل الأخلاق وما يتمتع به الجمهور من المرافق العامة يرجع السبب فيه الى أسباب بعيدة صعبة اكثر من التبدلات الساذجة في اصول الحكم والسياسة في شعب · فان هذه التبدلات نفسها ليست سوى نتائج حدثت من اسباب أخرى هي قائمة بانتشار التربية العقلية التي تخلق وتموت في أطراف العالم منبعثة من أسباب عرضية من مثل ظهور رجل عظيم او نبي كريم · ومن الأمة المتوثرة بنشء الذكاء في طبقات الخاصة الذين يوجدون العلم و يكشفون عن محيا امورنجهلها او يوحون الينا بشرائع ادبية خصبة

بنتائجها ... والفلاح هنا يعيش تعساً في كوخه جاهلاً ما يجري على ميل من مقره لا يملك نقداً ويحصل على حاجياته بطريق المقايضة . وهنا ايضاً لا شأن للنظام والتنظيم الذي هو من شأن المجالس البلدية ، والطرق غير امينة ولا سبيل الى التنقل الا بخفارة . وهنا ايضاً احتفظ القوم بأساليب التعذيب والعقوبات التي كانت تجري على عهد شارلكان ...

وكتب (ص٢٦٨) زرت هذا الصباح الصدر الأعظم في قصره وكان يشكو أنَّا في ضرسه فقص عليَّ الدسائس التي تحيط به وما يتهمه به النمامون قال : ان في الولايات ولاة لا شأن لهم إلا ان ينهبوا الدولة ويسلبوا الامة اقترحت تنحيتهم او نقلهم وعبثاً حاولت لان جلالته لا يصفق على ذلك لان بعض الافاقين او الخدم او احدى نساء الحرم تحمي الوالي ، فيوهمون السلطان انني أعمل بعوامل جنسية ضد مصلحة الدولة والسلطان يعتقد بأقوال هؤلاء الساقطين اكثر من أقوالي .

ومن مفكراته (ص ٢٧٣) : ان الألمان متنافسون وفيهم الخطر : ذلك لان سفاراتهم وبيوتهم المالية الكبرى تضغط بكل ثقلها على مفاوضات الحكومة العثمانية ومفاوضات السلطان ، وترى الافرنسيين يوماً ناجحين ومن الغد متقهقرين ، وهكذا تمر الاسابيع والشهور . وجميع العقبان والبواشق في القصر السلطاني من كبار رؤساء الجواسيس والحجاب وأمناء السر والباشاوات وبعض الوزراء يراقبون هذه الحركات والقلق آخذ منهم ، وأعناقهم ممتدة ، واقفين بالمرصاد للغنائم منتظرين صدور الارادة السلطانية في تعيين الظافر وظهور المنكوب السعيد يوزع عليهم « البخاشيش » عندما تكتب له الغلبة . وما أغرب شأنهم ذلك اليوم . منظر جدير يمثل هذه المملكة مملكة عبد الحميد ... في ادارتي رجل مستقيم فعال اسمه حاجي اوليا عهدنا اليه باستثمار الدخان في ولايات ساحل البحر الاحمر اليمن والحجاز وقد أصبح واسطة لجميع العلاقات بين الدولة وتلك البلاد في البياعات ونقل الجنود والبضائع والمواد . اتى يوم وقد أصبح له في ذمة وزارة المالية ٤٢ الف ليرة عثمانية وتعذر عليه ان يقبض فلساً واعترفت النظارة بصحة حساباته بعد صعوبات جمة وقضى مجلس النظار بان يؤدى اليه مطلوبه ، ضرورة ان الدولة ستطلب منه خدماً أخرى ، وحاول عبثاً استصدار الارادة السنية بذلك ،

وهو منذ أشهر يأتينا شاكياً متوجساً خيفة من إفلاسه القريب ، وها قد اتى امس الى إدارة حصر الدخان متهللاً كأنه عاد فتياً عشر سنين الى الوراء يتغنى بماديح السلطان ، ويحمد الله على توفيقه . فسألته ماذا جرى لك ياحاجي اوليا فأجاب لا تعرف ماجرى يا ذا السعادة ان اخي فكر فكراً حسناً فأرسل اليّ من اليمن اربع بقرات غريبة لكل منها سنام في ظهرها فقدمتها هدية الى السلطان فصدرت ارادته بعد اربع وعشرين ساعة وسألني السلطان ان أجلب له طيوراً من بلاد العرب وهاءنذا أقبض الاربعة والعشرين الف ليرة وقد أنقذت مما كان يتهددني . اما نحن فاننا نقاسي منذ سنين الامرّ من سخط السلطان وذلك لاننا لم نعرف المدخل والمخرج ولم نستطع جلب اربع بقرات محدودبة الظهر فالواجب ان نفكر في طريقة أخرى .

ومن مفكراته يوم ٢٢ آذار ١٩٠٥ : تتابع الفضائح الداخلية في القصر السلطاني ويوم السبت الماضي كانت لجنة حربية منعقدة للنظر في حوادث صنعاء وحالة اليمن والحجاز المضطربة فان كثيراً من القبائل العربية قد انقضت وهي محاصرة مدينة صنعاء شرقي جدة ، وشاع في الايام الأخيرة ان المدينة قد سلمت . ومهما يكن من الامر فان المناقشة في اللجنة العليا كانت محتدمة على ما يظهر عندما دخل الكاتب الثاني عزت باشا المشهور وتقدم يشارك اللجنة في مذاكراتها فقام ناظر الحربية اذ ذاك وسأله بشدة كما يسأل صعلوك يتدخل فيما ليس من شأنه ، وأضاف الى كلامه حركته وتناول كرسياً بيده و كسره على رأس ذاك السوري الصغير فوقع اضطراب واستدعي الطبيب زامبا كو باشا وقد أخرج الصدر الاعظم منديله ليقطع به الدم المهراق . جميع اهل المنتدى يقصون هذه القصة وكل انسان يأسف لان أثاث القصر لم يكن متيناً والا لكان الوزير حطم رأس الباشا بدلاً من ان يكسر الكرسي فقط . وليت شعري اي معروف كان أسدى لبلاده ! وسيان وفق في ضربته ام لم يوفق فان حركة الوزير كانت جميلة في النظر ، ترى فيها البادن العظيم رضا باشا بقامته الكبيرة يحمل كرسياً ليسحق به هذا الافعوان المضر . وليت شعري ما كان أجمل الصورة الشمسية التي تستخرج بنقل هذا المشهد .

هذه نموذجات من كتاب السويسري في العهد الحميدي البائد وانما المرء حديث

بعده . وأظن ان هذه الوقائع تكفي في إقناع من يحاولون غش التاريخ ومامداح ذاك الدور في الحقيقة الا الذين حلبوا العنزة المسكينة واكلوا درّها ثم نتفوا صوفها وعرّقوا عظمها .

محمد كرد علي

تاريخ الادب العربي

تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . الطبعة الثانية (ص٣١٣) طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة سنة ١٩١٤

مؤلف هذا الكتاب من نوابغ الادباء الذي أحكموا القديم من أدوات الكتابة ، وضموا اليها ما ينفعها من الحديث . وقد علمنا من حياته انه بعد ان حفظ في الأزهر القرآن ودرس التجويد والقراآت وعلوم الشريعة واللسان وقرأ أمهات كتب الأدب على العلامة سيد بن علي المرصفي حذق اللغة الفرنسية ودرس الحقوق بها ، وأحرز شهادة العالمية من جامعة باريز ، وغذى عقله بحرية البحث ومحبة النقد ، ثم انصرف الى تدريس آداب العرب وعني بالتأليف والترجمة . وكتابه هذا من خير ما أخرج للناس من الأسفار ألفه بحسب برنامج معارف مصر للمدارس الثانوية فجاء ممايستفيد منه كل من تطمح نفسه الى الإلمام بهذا الفن الواسع الاطراف ، المتشعب المناحي . بدأه بالكلام على أدب اللغة ومنزلة الأدب العربي وتاريخه وفائدته وتقاسيمه وعلوم العرب واللغة ولهجاتها وأطوارها وخصائصها والنثر والحكم والخطب والشعر وأوليته وتقسيمه عند الفرنج وأبان السبب في خلوّ الشعر العربي من القصص وميزات الشعر الجاهلي والرواية والمعلقات والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوصف والنسيب وأورد تراجم جميلة مع الايجاز لشعراء الجاهلية والاسلام والخطباء والكتاب ، وألمّ بتدرج اللغة وماأثره الاسلام فيها وتأثيرات القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه وتأثيره وجمعه وتدوينه .

وعرض لعبد الحميد الكاتب واثره في الكتابة والموازنة بين الكتابة في عهده وبينها في الجاهلية واثر الخطابة في الاسلام وأورد تراجم علي بن ابي طالب وسحبان وزياد والحجاج بن يوسف ومثالات من خطبهم ومن النثر في عهدهم وذكر الشعر في

العصر الأموي وسيرة طائفة من النابهين من شعرائه ونماذج من أقوالهم . وانقلب بعد ذلك الى العصر العباسي وما آل اليه الأدب بتأثير الحضارة الفارسية فيه وترجم لأعيان الكتاب والشعراء والادباء والنحويين واللغويين والفلاسفة والمحدثين وألمّ بما صارت اليه كتابة التاريخ وتدوينه وعلوم الحديث والفقه والفلسفة وما صارت اليه اللغة في العصر التركي وذكر بعض أعلام الأدب ووصف ضعف ملكة البيان حتى كان الاحتلال الفرنسي في مصر وما تبع ذلك من عمل محمد علي الكبير فآضت اللغة الى بعض رونقها وترجم من المعاصرين في الأدب اربعة رجال وامرأة من المصريين وذلك بحسب الخطة التي رُسمت للكتاب وهم المرحومون محمود سامي البارودي ومحمد عبده وحفني ناصيف والشيخ حمزة فتح الله وملك ناصف ابنة حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية . وذيل الكتاب بمعجم صغير لتفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة .

هذه رؤوس المسائل في هذا الكتاب الذي جوّد مؤلفه تصنيفه وجمع الى الجزالة الرشاقة فأتى بمجموعة مثال الكلم الطيب والقول البليغ والتحري في البحث وانتقاف زهرات أئمة الأدب وإدماجها في أسلوب يحبب تلاوته ومراجعته ، ولقد يكتفي طالب هذا الفن بهذا المثال الجيد من أدب العرب ، ويتبلغ بهذه الزبدة الطيبة تملأ وطابه وتغنيه في سن الدراسة عن الرجوع الى المطولات . وعسى ان تصح عزيمة المؤلف النابغة على وضع كتاب مطول في هذا الفن الذي قال فيه انه علم حديث النشأة ابتدعه الايطاليون في القرن الثامن عشر وظل مجهولاً في الشرق حتى اشتد خلاطه بالغرب فكان اول ما نقله الاستاذ المغفور له حسن توفيق العدل اقتبسه من المانيا ودرسه في دار العلوم (1) بمصر .

---

(1) ألف صديقي العلامة المرحوم حسن توفيق العدل كتاباً في آداب اللغة العربية وتفضل ودفع اليّ في سنة ١٩٠١ بمصر مسودات الجزء الاول فقرأته واعدته اليه ولا أعلم اذا كان مثل بالطبع ، ومما قرأته من الفوائد فيه ان اوزان الاعاريض من مخترعات العرب الصرفة وانهم لم يأخذوا وزناً من غيرهم بل اخذ عنهم كثير من أمم اوربا انواعاً من القافية .

ومما قاله في الرواية والمعلقات (ص ٢١) « قال ابو عمرو بن العلاء : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله . ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مُغربة ، فان الشعر لم يدوّن الا في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وان في نقله على الألسنة طول هذه الأزمنة مَظِنَّة للتبديل والاختلاق والتزيد » اه . وقد ثبت ان التدوين سبق هذا العهد فان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وكان عبد الله بن عمرو يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً أُلف في عهد ابن عباس في قضاء علي . فليس من المعقول ان يتأخر العرب في تدوين شعرهم وهو ديوان مفاخرهم وصحيفة ادبهم وتاريخهم الى منتصف القرن الثاني .

وقال (٨٢) : وقامت خلافة الأُمويين على غير عمد من الحق فساسوا الناس بالتفريق وإحياء العصبية واوقدوا نار التنافس بين الشعراء ... وكفّا الناس عن الخصومة في خلافتهم بالخصومة في امر جرير والفرزدق والأخطل ، وحلّ المربد في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية ، فعلوا ذلك بالشام والعراق فطير الهجاء السياسي وهو فن من الشعر جديد واعتقلوا شباب الهاشميين وسراتهم في مدن الحجاز ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلوهم بالمال ، وخلوا بينهم وبين الفراغ ، فتدفقوا في اللهو ، وعكفوا على الغناء ... اه . وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه لان الأُمويين كخصومهم طلبوا دولة فبلغوها بمضائهم وعصبيتهم وحسن سياستهم ، واذا كان الهاشميون من طينة غير طينة العرب او البشر في الفضل والتقى فلماذا مالوا كل الميل الى ما حمله الامويون اليهم من اسباب الترف والسرف . ولو وقف الامر عند الحد الذي أراده الحجازيون والعراقيون اذ ذاك لما انتشر الاسلام هذا الانتشار المدهش ولا بلغت فتوحاته المغربين والمشرقين .

وقسم المؤلف العصر العباسي الى اربعة اعصر تبعاً لاحواله السياسية والاجتماعية ، فالعصر الاول من ابتدائه الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ، والثاني من خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ، والثالث من تغلب البويهيين الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، والرابع من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها

في ايدي التتر سنة ٦٥٦ وهذا التقسيم سار عليه ايضاً بعض المؤلفين المحدثين الذين دوّنوا شيئاً في تاريخ الادب عند العرب ٠

واعتذر الاستاذ عن إغفال ذكر الشاميين وأثرهم في النهضة العربية بقوله : وما كان أروح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم مواطني وجيرتي ! ولكن البحث محدود والقلم موجز ٠ ومهما يكن من شيء فلن يفوتنا ذكر اسمائهم مُعْقَبةً باسماء معاصريهم في العراق والمغرب ، اعترافاً لهذه النفوس الكبيرة المطمئنة بالاحسان والفضل » ٠

وقد وقعت بعض هنات قليلة جداً للمؤلف اكثرها من غلط الطبع مثل « اعتنق الاسلام » وهذا من التعابير الافرنجية والأولى انتحل او دان او غير ذلك ٠ ومنها (ص٢٣٢) ان الاستاذ جويدي الايطالي وضع فهرساً ابجدياً مطولاً للاغاني وطبعه بمصر سنة ١٣٢٢ والصحيح ان الاستاذ الايطالي وضع جداول الاغاني بمؤازرة ثمانية من علماء المشرقيات وطبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ وما طبع في مصر منتحل من الطبعة الفرنسية ومنقول عنها ٠ وروى (ص٢٤٥) ان كتاب البدء والتاريخ هو لابي زيد البلخي ولكن تبين آخراً انه لمطهر بن طاهر المقدسي ، وان ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الادباء والصحيح ان صاحب هذه الطبقات ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وكتاب ابن ابي أصيبعة اسمه عيون الأنباء في طبقات الاطباء ٠ وقال ان ابا الفداء وصل في كتابه المختصر في اخبار البشر الى سنة ٩٢٩ وصوابه ٧٢٩ وابو الفداء مات سنة ٧٣٢ كما جاء في الكتاب نفسه ٠ وجميع صفحات الكتاب درر وغرر ٠ محمد كرد علي

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف «جوت» الالماني نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات الطبعة الثالثة طبعت بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة الاعتماد سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٤ ص ٢٠٨

اشتهرت هذه القصة في الأدب الغربي و بالغ الغربيون في الإعجاب بها ، وقد نقلها نابغة الأدب الاستاذ الزيات ايضاً بما رزق من القوة على تذليل صعاب اللغتين و برشاقة

وذلاقة دل بعا على علو كعبه في ممارسة القلم العربي الذي يتوفر على إرجاعه في أسلوبه الى عهد ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هرون ٠ خاصية امتاز بها بعض من درسوا الأدب العربي حق دراسته ، وتشبعت نفوسهم بالأدب الفرنجي أمثال شكيب وطه والعقاد والمازني وغيرهم من أعيان البيان في هذا الزمان ٠ وقد يبرز في هذه الطريقة خصوصاً نوابغ الازهريين الذين عالجوا الادب ومقوماته ، ونوابغ دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، وكم فيهم من لم يشتهر اليوم يكتب من السهل الممتنع الذي لم ينهض بمثله كتاب القرن الخامس والسادس ٠ وقد قدم لهذا الكتاب صديق المؤلف وتربه وقسيمه الدكتور طه حسين مقدمة قال فيها ان «جوت» وصف في هذا الكتاب الحياة النفسية لكل شاب وشابة على اختلاف الازمنة والامكنة وعلى تباين الحالات ، وانه من الكتب التي أنشئت لتبقى ابد الدهر ، تخلد لانها لا تصف الأشخاص التي تفنى وتزول ، وانما تصف النوع الذي يبقى ويدوم ، وخصلة أخرى قضت لهذا الكتاب بالبقاء والخلود هي انه لم يقف عند حد تمثيل الحياة النفسية للشباب في طور من أطوارها وانما وضع للانسانية مثالاً من الفضيلة تحس كل نفس الميل اليها وترد لو بلغته او دنت منه ٠٠٠ ان آلام فرتر ليست قصة ابتكرها او بناها متكلفاً تستعير اجزاؤه المتكلفة من الخارج ، انما هي قصة ما أصاب «جوت» نفسه إبان شبابه ٠ ومن هنا يرى الكتاب مما يشوه غيره من آفة الكذب والاختراع ٠

وقد وضع المترجم بعض الألفاظ للدلالة على بعض الكلمات الفرنجية مثل بيان (Piano) او المضراب ٠ عصَّر (Goûter) الوجبة الخفيفة التي تؤكل وقت العصر لكلمة عَدّف ونعدّف ، لمّج وتلمّج ، تلقى عند العصر وجمع اسمها على عصور ٠ قديح (Gratin) الأشنان (Mousse) وربما كان الأولى يطلق عليها اسم طُحلب ولعلها الأشنة (شيبة اوكشة العجوز) ٠ وفنزج (bal) اي المرقص ٠ واستعمل كلمة «ظروف» بدل الاحوال و« قتل الوقت » بدل صرفه وقطعه والقتل هنا اعجمي ٠ وجمع الوادي على وديان والمعروف الاودية والاوداء والاوادية ٠ وقال (اشجار الدوح) ٠ والدوح الشجر العظيم فلا حاصل لمعنى (اشجار الاشجار) ٠ ومن الفصيح والتراكيب الجميلة التي يزيد احياءها : ممتع الحياة ٠ متوع النهار ٠ تحدي الناظر وتعاجز المراقب ٠

نزبة (حدة) من الشوق · يزوجون بنيهم من بناتهم بدالا · يوم قائظ تتوقدهواجره · وتحرق سمائمه · السكبات المندبة — الخجلة · خشاة ان — خشية ان · رجاة ان — رجاء · رجية وأمل — رجاء · الصاغر المشدوه · اصحر القلب (اصحر بما في قلبه اظهره) وضاح الجبين · تركته يعب عبابه · ثقل خلاطهم (مخالطتهم) على طبعه · تعلم منذ بعيد · اجزت الفناء — جزته · عدواء الدار — بعدها · امرأة نصفا تغترق الابصار ملاحة · عقرت — فجأني الروع فلم اقدر ان اتقدم او اتأخر · معيشة ضنك ومستراد حرج · العيش الرفيع — لعله الرفيغ بالغين المعجمة من رفغ العيش اتسع · مخشوشب الجسم · يحذونهم على مثالهم · عصاه العقداء · رئدها — قرينها في السن · ينجلون المرعى يحشونها · الود المصفق · مؤانستها والتظرف اليها · أبقي على نفسي واهاونها · ربكها حمله · ارفه على نفسي · لهاث الموت شدته وكربه · نعم ونعام عين · لا يقع الا ندورا · زهاه النصر وبخ به الفخر · كان محمحقا مأفونا · رجل مأفون مماحك · راقصة مرجحنة · القى الخبر على رسيلاته — من دون تثبت · نفع هذه السكبات وجداؤها · الداء الثبات المعجز عن الحركة · عرفت لهذا الخطب صبرت وتجلدت · ارى له صورة الي اي ميلا بالود · صب جلده وارتهكت مفاصله · استنشيت ذكرى ما نعمت به · كظمني الحزن ولاع قلبي الهم · اعمد في جوف غابة واخبط في الادغال الشواجن · لن تراني عوض · كظمت على جرتي · ادهام الممشى بالخضرة النضرة · زهفت الى الموت · الهنداء المثيأ — المختلف القبيح · يسمعون عنه اي يذيعون منه عيبا وفضيحة · يرجون السنتهم في عرضه — يطلقونها في الذم والاغتياب · أفد الوقت (دنا) · يفري الفري يأتي بالعجايب في عمله · امرأة عجفاء معروقة العظم مسقامة · تمناثان الحديث · استمر الكأس واجتواها اي وجدها مرة وعافها وكرهها · اقهى عن الطعام كرهه · خب المرأة على زوجها — حملها الى النفور منه · نزو بها على سوقها وتثبتها بنصبا · شقق الماء الارض غمرها · اقرنت السماء بالمطر — دامت ولم تقلع · اضب له على حقد اضمره ونواه · يوزعها الصبر و يشعب قلبها بالسلوة · الى عشرات غيرها من التفصيح في التركيب الحري بالاقتباس والاحتذاء ·

م · ك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرتين) نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات الطبعة الاولى بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع بمطبعة الاعتماد بمصر (ص ٢٦٢)

وهذا ايضاً من نقل الاستاذ الزيات وآخر ماخطته يده الصناع ، وذوقه المعجب ، وأدبه الممتع ، قدم له الاستاذ الدكتور منصور فهمي من حكماء مصر في هذا العصر مقدمة شائقة قال فيها : « فكأن الاستاذ الزيات باختياره ترجمة هذه القصة التي استمدها كاتبها من جمال الطبيعة ، وجلال الايمان ، وشرف العاطفة ، قد حرص على ان يقرئنا صحيفتين فيها دقائق الكونين من عالم الغيب والشهادة ، او من عالم المعنى وعالم الحس ، وبهذا الحرص قدخدم اللغة العربية أجل خدمة . واي خدمة أعظم من ان يعين الانسان لغته على بلوغ دقة الوصف ورشاقته وتحليل الشعور ودقته . » « فاذا نقل الينا الناقلون كتاباً حديثاً يتضمن أوصافاً لارض غير التي ذكرها العرب ، ويحتوي مشاعر غير التي أحسها العرب ، فانهم بعملهم هذا يمدون في لغتنا سبباً ويضيفون الى زهراتها زهوراً ، والى نغماتها ألحاناً ، والى حياتها حياة . » « وخير برهان على ذلك ان قصة رفائيل التي نحن بصددها يقرأها الانسان عربية صحيحة على أسلوب العرب ، وبيان العرب ، وفيها رخامة ألحانهم ، ورنات أوتارهم ، وهي تحمل الينا كل ما قاله وصوره كاتب من اكبر كتاب الفرنجة بلغة الفرنجة وأسلوبهم ولحنهم . أو يقول المتطرفون بعد ذلك ان اللغة جامدة ! او يقول الجامدون بعد ذلك ان نفوسنا لاتتأثر بما تنقله الينا اللغة من مشاعر الغير وأساليبه في تصوير الوجود ؟ . » ثم قال ان للترجمة كما قال الصفدي طريقتين ترجمة حرف بحرف وهي ترجمة رديئة وترجمة المعنى وهو ان يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ ام خالفتها . قال الدكتور فهمي ان مترجمنا هذا جمع في منهاجه في الترجمة فضائل الأساليب جميعاً فلم يفرط في نظام الكلمات اذا سلم المعنى ولم يفرط في معنى اذا لزم الامر لتفريط في مبنى قال : « وبين تزويجه للطريقين قدافاده تمكنه

من اللغتين المنقول اليها والمنقول عنها ، فتخير الألفاظ وصقل الأسلوب، وادى الامانة بما تقتضيه الدقة والايجاز . والخلاصة ان الاستاذ الزيات كان فناناً في نقله ، أميناً في فنه ، موفقاً في عمله » .

وهذا الكتاب كصنوه « آلام فرتر » ينطوي على أجمل التراكيب وأفصح الألفاظ أحيا بها كثيراً منها حريٌّ بالكتاب ان يتعاوروا استعمالها كما أحيوا مئات من مثلها . وقد وقعت للمترجم ألفاظ من الفاظ الصوفية جاء بها للتعبير عن المعاني الروحية التي أرادها المؤلف الأصلي وهذا من جميل العناية البالغة في اجادة التصوير . وقد وقعت له بعض الفاظ لم تؤثر لاحد من البلغاء منها . يتراوح بين فرسخ وثلاثة والاولى يختلف لان التراوح ان يفعل هذا مرة وهذا أخرى . بلغ اربعة وعشرين ربيعاً اي سنة ولم يعهد استعمال الربيع بمعنى السنة وهو استعمال افرنجي . والتحوير بدل التبديل والتغيير والتحوير التبييض . في بحر يوم وليلة . والاولى في سحابة يوم . سمع البندول (الرقاص) بدق الثواني . الكنبة لذاك الكرسي المستطيل . البرنز — الشبه اولى منها . تضحي بنفسها في سبيل . يرضخا (يعطيا قليلا) الي شيئاً من مالهما والحريري يقول بدريهمات رضخ بها له . يقتلوا ساعات من الفراغ فقتلوا غير عامدين ساعات من الهناء ومثلها اقتل الوقت .

وان في اقبال القراء على ماتجود به قريحة الاستاذ الزيات في هذه الترجمات البارعة لبرهان قاطع على ان في جمهور المتعلمين من تروقهم روعة هذا اللون من الإنشاء الرصين ، ولا يرتضون بعد الآن غيره من النمط النازل عن درجات الفصحاء والبلغاء .

م . ك

هدية

اهدى الى المجمع العلمي الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار بعض مطبوعات مكتبته وهي : (١) أسرار البلاغة و(٢) دلائل الإعجاز والجزء الثامن من تفسير القرآن الذي ينشره في مجلته ورسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فالمجمع يشكر له هديته .

كتب ورسائل مختلفة

(١) صور المناوضات الخطية المتبادلة بين وفد خدام الحرمين الشريفين الهندية وبين عظمة سلطان نجد في غضون يناير — فبراير سنة ١٩٢٦ .

(٢) المنهاج في المعراج للشيخ عبد المجيد المغربي من علماء طرابلس طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٤٤ ص ٤٠ .

(٣) النظم المفيد الاحمد في مفردات الامام احمد نظم قاضي القضاة محمد بن علي العمري المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٠ عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة سنة ١٣٤٤ ص ٨٠ .

استدرك

ذكرتُ في تعليقي على رحلة ناصر خسرو القبادياني عند ذكر قرية حاضرة انها ربما تكون محرّفة عن كفرمندة وقد تراءى لي أخيراً انها محرّفة عن حطّين اوخيارة اللتين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان في مادة حطين اذ قال : [١] حطين موضع بين طبرية وعكا بينه وبين طبرية نحو فرسخين بالقرب منه قرية يقال لها خيارة بها قبر شعيب عليه السلام ونقل عن الحافظين ابي القاسم الدمشقي وابي سعيد المروزي ان حطين قرية وهو الصواب لان هذه القرية لا تزال آهلة بالسكان وعددهم اليوم ٨٨٩ نسمة .

اما اربيل او اربد التي ذكرها فيجب ان تكون محرّفة عن (بيت اربئيل) العبرية ومعناها دار الله او مكمن الله وهي اليوم خربة على نحوثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن تسمى اربد وقد ذكرها ياقوت ايضاً بهذا الاسم [٢] .

عبد الله مخلص

---

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) « « ج ١ ص ١٨٤ .